أُصُولُ التَّحلِيلِ النَّصِّيِّ

قِرَاءَةٌ فِي مُنجَزِ د. مُحَمَّد حَمَاسَة عَبدِ اللَّطِيفِ

إعداد

د. كَمَال محمَّد السَّيد محمَّد عَبد البَر

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

١٤٤٣هـ = ٢٠٢٢م

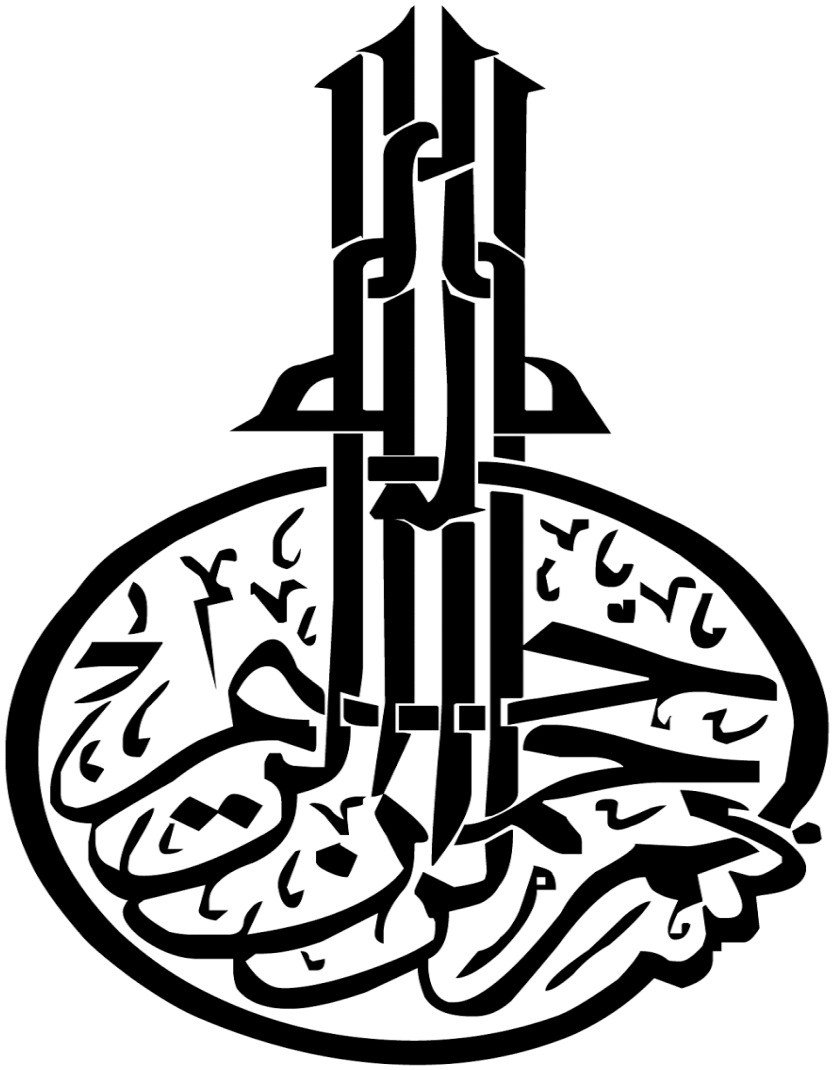

أُصُولُ التَّحلِيلِ النَّصِّيِّ قِرَاءَةٌ فِي مُنجَزِ د. مُحَمَّد حَمَاسَة عَبدِ اللَّطِيفِ

كَمَال محمَّد السَّيد محمَّد عَبد البَر
كلية دار العلوم – جامعة القاهرة
البريد الإليكتروني:
Kamalabdelbar80@gmail.com

ملخص البحث

لقد أردت بهذه الدراسة تقويم الجانب النظري فيما كتبه الناقد الدكتور **محمد حماسة عبد اللطيف**، فتناولتُ تشكل الرؤية النصية لديه، كما تناولتُ أهمَّ الأصول والمبادئ التي آمن بِها، واتخذها أدوات لتحليل النص الشعري، وهي: (حتمية المدخل النحوي – لكل نص مدخله – كلية النص ووحدته – استقلال النص – العلاقات الرأسية والأفقية – البنيتان السطحية والعميقة).

وقد كان أهم ما أخذتُه علىٰ هذه الأصول، أنها أصول مستعارة وليست ذاتية، وأنها مستعارة من منابع شتىٰ، وهي منابع أجنبية وغير عربية، كما أن بعض هذه الأصول لا يصح تعميمه أو إطلاقه، وبعضها قد فهمه الناقد فهما خاصًّا يخالف به معظم النقاد واللغويين، إضافة إلىٰ أن الناقد لم يستطع تطبيق هذه الأصول فيما كتبه من دراسات تطبيقية، وتحتاج هذه الإشكالية الأخيرة إلىٰ دراسة خاصة.

الكلمات المفتاحية: (نقد النقد – نحو النص – د. محمد حماسة عبد اللطيف – التحليل النصي– قراءة الشعر – البنية السطحية – البنية العميقة).

❁❁❁❁❁

Principles of Textual Analysis A reading in accomplishment d. Muhammad Hamasa Abdul Latif

Kamal Mohammad Al-Sayed Mohammed Abd Al-bar
Faculty of Dar Al Uloom - Cairo University
Email: kamalabdelbar80@gmail.com

Abstract:

I wanted with this study to evaluate the theoretical side of what the critic Dr. Muhammad Hamasah Abdul Latif wrote, so I dealt with the formation of his textual vision, as well as the most important assets and principles in which he believed, and which he took as tools for analyzing the poetic text ،which are: (the imperative of the grammatical entrance - for each text it is entered - the totality and unity of the text - the independence of the text - the vertical and horizontal relationships - the surface and deep structures).

The most important thing I took on these assets was that they are borrowed and not subjective assets, and that they are borrowed from various sources, which are foreign and non-Arab sources, and some of these assets are not correct to be generalized or released, and some of them have been understood by the critic in a special understanding that contradicts most critics and linguists. In addition, the critic was unable to apply these principles in his applied studies, and this last problem needs a special study.

Keywords: (meta criticism - text grammar - Dr. Muhammad Hamasa Abdel Latif - textual analysis - reading poetry - surface structure - deep structure).

مقدمة

يَعْرِفُ كُلُّ حَفِيٍّ بِـ "نَحْوِ النصِّ" لِلدكتُورِ **مُحمَّد حَمَاسَة عَبد اللطِيف** – رَحِمَه الله – مَنزلَتَهُ، وَجُهودَهُ فِي ذَلِكَ الميدَانِ المعرفِيِّ مِنْ مَيادينِ الثقافَةِ اللغويَّةِ العربيَّةِ؛ فَالرجُلُ رَأسُ مَدرَسَةٍ دَرعَميَّةٍ فِي مَجالِ (نَحْوِ النَّصِّ)، وَيَكْفِي أَنْ نُرَاجِعَ مَا أَشْرَفَ عَليهِ الدكتورُ **حَمَاسَةُ** أو نَاقشَهُ مِنْ رَسَائِلَ حَوْلَ "نَحْوِ النصِّ" لِنُدْرِكَ سِرَّ هَذِي الكَثْرَةِ الهائِلَةِ فِي أَتْبَاعِهِ ومُرِيدِيهِ وَتَلامِيذِهِ الذِينَ يَتغنَّوْنَ بِأيَادِيهِ عَلَيهِم، وَلِتَتَأَكَّدَ لَدَيْنَا رِيَادَتُهُ وَأُسْتَاذِيَّتُهُ فِي هَذَا الميدَانِ المعرِفِي الَّذِي أَخَذَ يُزَاحِمُ النقدَ الأَدَبِيَّ فِي عَصْرِنَا الحدِيثِ.

وَلَا غَرْوَ – مِنْ ثَمَّ – أَلَّا تَكُونَ هَذِي الدرَاسَةُ أَوَّلَ مَا كُتِبَ عَنْ مُنجَزِ **د. حَمَاسَةَ** وَإسهَامَاتِهِ فِي التحْلِيلِ النصِّيِّ أَوْ نَحْوِ النَّصِّ، فَلَقَدْ سَبقَنِي إِلَىٰ دِرَاسَةِ ذَلِكَ المنجَزِ أَساتِذَةٌ وزُملَاءُ كِرَامٌ، وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَا قُدِّمَ عَنْ جُهودِ **د. حَمَاسَةَ** إِبْدَاعًا وَتَنظْيرًا وَتَطبِيقًا ذَلِكَ الكِتَابُ التذكَارِيُّ الَّذِي أَعَدَّهُ وَحَرَّرَهُ الأستاذُ الدكتورُ **أَحْمَد عَفِيفِي**، وَالدكتُورُ **حُسَام جَايل**، وَعُنْوَانُهُ **"الدكتورُ محمدُ حَمَاسَة عَبد اللطيفِ – عَطَاءٌ بِلَا حُدُودٍ"**[1]؛ فَقَدْ ضَمَّ ذَلِكَ الكِتَابُ دِرَاسَاتٍ عَنْ شِعْرِ **د. حَمَاسَة**، وَجُهودِهِ فِي الدَّرْسِ النحْوِيِّ، وَلَا سِيَّما نَحْوُ النصِّ، كمَا ضَمَّ شَهادَاتِ مُحبِّيهِ، وَمُجَايلِيهِ، وَبَعْضَ مَا رُثِيَ بِهِ مِنْ قَصائِدَ، إِضَافَةً إِلَىٰ سِيرتِهِ الذاتيةِ، وَبَعضِ صُوَرٍ لِمرَاحِلَ مِنْ حَيَاتِهِ.

والحقُّ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا ضَمَّهُ هَذَا الكِتَابُ كَانَ رَاضِيًا عَنْ مُنجَزِ الدكتورِ **حَماسَةَ**؛ ذَلِكَ أَنَّ الدرَاسَاتِ التِي ضَمَّها هَذَا الكِتابُ قَدْ أَثْنَتْ وَمَدَحَتْ

وَبَجَّلَتْ، وَوَصَفَتْ وَلَمْ تُرَاجِعْ أَوْ تُقَوِّمْ، وَاتَّفَقَتْ وَتَابَعَتْ وَقَلَّما اختَلَفَتْ، وَلَا يَعنِي ذَلِكَ أَنَّنِي أَتَّخِذُ الاختِلَافَ مَعَ الآخَرِينَ غَايَةً وَمَقْصِدًا، وَلَكِنَّنِي حَرِيصٌ عَلَىٰ أَنْ نُقَوِّمَ وَنُراجِعَ أَكْثَرَ مِمَّا نَمدَحُ وَنُبَجِّلُ، وَلَا سِيَّما مُرَاجَعَةُ الجهُودِ الرَّائِدَةِ التِي يُجَارِيهَا الأَتْبَاعُ وَيَحْطِبونَ فِي حِبَالِهَا، تَحتَ سَطْوَةِ الأستاذِيَّةِ وَفِتنَتِهَا، دُونَمَا رَيْثٍ أَوْ رَوِيَّةٍ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يُحِبَّ التلميذُ أُسْتَاذَهُ وَمُعلِّمَهُ؛ فَذَلِكَ مِمَّا فُطِرَتْ عَليهِ النفُوسُ، وَتَأْمُرُ بِهِ شِيَمُ المرُوءَةِ وَالوَفَاءِ، وَمَكَارِمُ الأَخْلَاقِ، وَرَحِمَ الله **الشَّافِعِيَّ** حِينَ قَالَ: "... وَإِنَّ الْحُرَّ مَنْ رَاعَىٰ وِدَادَ لَحْظَةٍ، وَانْتَمَىٰ لِمَنْ أَفَادَه لَفْظَةً"[٢].

ثُمَّ إِنَّنِي مُؤمِنٌ بِأَنَّ عَافيةَ ثَقافَتِنَا وَتَجدُّدَهَا وَثَرَاءَهَا رَهْنٌ بِأَنْ تُرَاجِعَ مُنجَزَاتِهَا، وَتُقَوِّمَ أَدَواتِهَا وَوَسَائِلَهَا مِنْ حِينٍ لآخَرَ، وَلَا عَافِيَةَ مَعَ كَثْرَةِ المؤَلَّفَاتِ إِذَا كَانَتْ تَجْتَرُّ مَا قَالَهُ السابِقُونَ وَتُعِيدُ صِيَاغَتَهُ لِتظْهِرَهُ قَشِيبًا، أو تُجَمِّعُ مَا تَفَرَّقَ فِي كُتُبِ السَّالِفِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُفْضٍ - لَا مَحَالَةَ - إِلَىٰ تُخمَةٍ ثَقَافِيَّةٍ، أَوْ حَالَةٍ مِنَ الرِّضَا عَنِ النفْسِ حَذَّرَنَا مِنْهَا د. **مُصطَفَىٰ نَاصِف** فَقَالَ: "يَجِبُ أَنْ يَتنَازَعَ نُقَّادُ الأَدَبِ فِيمَا بَينَهُم، يَجِبُ أَنْ يُنكِرَ بَعضُهُم عَلَىٰ بَعْضٍ، وَيَجِبُ أَنْ يَسْأَلُوا دُونَ تَرَدُّدٍ إِنْ كَانَ مِنَ المفِيدِ أَنْ نَعتِبَ عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَأَنْ نَبْحَثَ بَحثًا ثَانِيًا عَنْ أَنْفسِنَا أَيْضًا. كُلُّ شَيءٍ مُمكِنٌ إِذَا نَحْنُ لَمْ نُسْرِفْ فِي الرِّضَا عَنْ أَنْفُسِنَا، وَإِذَا نَحْنُ حَاولْنَا أَنْ نُغيِّرَ مِنْ أَنْفُسِنَا"[٣]. وَلَا رَيْبَ أَنَّ عُقْبَىٰ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ خُسْرٌ؛ فَلَئِنْ رَضِيَتْ ثَقافَةٌ عَنْ نَفْسِهَا لَتُصَابَنَّ بِالغُرُورِ؛ وقَدْ تَضِلُّ السبِيلَ، وَهِيَ تَحسَبُ أَنَّهَا تُحْسِنُ صُنْعًا، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الدرَاسَةُ ابتغَاءَ المراجعَةِ والتقْوِيمِ والعَتْبِ، وَمَخَافَةَ الرِّضَا عَنِ النفْسِ.

وَلَئِنْ لَمْ تَكنْ دِرَاسَتِي هَذِي أَوَّلَ مَا كُتِبَ عَنْ جُهودِ الدكتُور **حَمَاسَة** أَوْ بَعضِهَا، وَإِسْهَامِهِ فِي (نَحْوِ النصِّ)؛ فَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الدراسَةُ رُؤيَةً مُختلِفَةً لِتِلْكَ الجهُودِ؛ إِذْ أَرَدْتُ لَهَا أَنْ تُسائِلَ وَتُراجِعَ، وَتَختلِفَ وَتُقَوِّمَ، وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهَا أَنْ تَكُونَ قَدْ كُتِبَتْ بِعَيْنِ النصفَةِ وَالنصْحِ، لَا بِعَينِ السُّخْطِ ابتِغَاءَ مُخالفَةِ المَادِحِينَ الرَّاضِينَ.

هَذَا، وَلَقَدْ سَنَّ لنَا **د. حَمَاسَةُ** نَفْسُهُ سُنِّةَ مُساءَلَةِ الجهُودِ السابقَةِ وَتَقْوِيمِهَا – وَلوْ إِجْمَالًا – حِينَ أَشَارَ فِي كتابِهِ (النحْوُ وَالدِّلَالةُ) إِلَىٰ بَعْضِ مَا كُتِبَ عَنِ الأُسلُوبيةِ بِاللغةِ العَربيّةِ (تَرجَمَةً أَوْ تَأْلِيفًا، تَنْظِيرًا أَوْ تَطبيقًا)، وَقَوَّمَ هَذِهِ الجهُودَ تَقْوِيمًا مُجمَلًا دُونَ تفْصِيلٍ، فَاتَّفَقَ وَاختَلَفَ، وَمَدَحَ وَآخَذَ[٤]، وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِ لَمُقتَدُونَ.

وَقَدِ استَحَقَّ **د. حَمَاسَةُ** بِذَلِكَ لَقَبَ النَّاقِدِ – وَهُوَ بِهِ جَدِيرٌ – وَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ يُسمِّيهِ (**نَاقِدًا**)، فَلَقَدْ سَبقَنِي إِلَىٰ ذَلِكَ مُبدِعُونَ وَنُقَّادٌ كِبَارٌ كَالأستَاذِ **أَحمَد عَبد المعطي حِجَازي**[٥]، وَد. **أَحمَد دَرْوِيش**[٦]، وَأَمَّا الشَّاعِرُ القَديرُ الأُسْتَاذُ **فَارُوقُ شُوشَة** رَحِمَهُ الله فَقَدْ سَمَّاهُ نَاقِدًا غَيْرَ مَرَّةٍ؛ فَكَانَ مِمَّا قَالهُ فِي تَقْديمِ **د. حَمَاسَةَ** عُضْوًا بِمَجْمَعِ اللغَةِ العَربيَّةِ: "هَذهِ الدرَاسَاتُ اللغويَّةُ التحْليليَّةُ النصِّيَّةُ، تَكشِفُ لَنَا عَنْ **نَاقِدٍ** مِنْ طِرَازٍ جَديدٍ مُغَايرٍ، **نَاقِدٍ** نَحنُ فِي أَشَدِّ الحاجَةِ إِلَيهِ عَلَىٰ مُستوَىٰ القُرَّاءِ والدَّارِسِينَ وَالمبدِعِينَ، **نَاقِدٍ** يَسُدُّ الْهُوَّةَ القائِمَةَ بَينَ أَصْحَابِ الدرَاسَات النحويّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَالإِبدَاعِ الأَدَبِيِّ مِنْ نَاحيةٍ أُخْرَىٰ. **نَاقِدٍ** يُعِيدُ إِلَىٰ الكِتَابَةِ النقْديَّةِ بَهَاءَ اكتِمَالِهَا، وَرَوْعَةَ

تَملكِهَا لِأَدوَاتِهَا اللغَوِيَّةِ التحْليليَّةِ، وَوَعْيَهَا بِالبنيَةِ التحتِيَّةِ للنصِّ الأَدَبِيِّ، فِي عَلَاقَاتِهَا الأُفقيَّةِ وَالرَّأْسِيَّةِ"[٧].

وَبِذَلِكَ يَسُوغُ لِي أَنْ أُشِيرَ إِلَىٰ أُستاذِنَا الدكتُورِ **مُحمَّد حَمَاسَة** فِي بَقِيَّةِ الدِّراسَةِ بِاسْمِ **د. حَمَاسَة**، أَوْ بِلَقَبِ **(الناقِدِ)** إِيجَازًا.

وَأَمَّا إِشْكالِيَّةُ هَذِهِ الدرَاسَةِ فَتكَادُ تَكُونُ إِشْكَالِيَّةً عَامَّةً فِي خِطَابِنَا النقْدِيِّ الْمُعَاصِرِ؛ إِذْ تَكثرُ فِيهِ المبَادِئُ والأُصُولُ النقْدِيَّةُ، وَتَتزَاحَمُ فِيهِ المقُولَاتُ يَتَّخذُها النقَّادُ أَدَوَاتٍ لِتحْلِيلِ النصِّ الأَدَبِيِّ. لَكِنَّنَا حِينَ نُراجِعُ تِلكَ المبادِئَ وَنَتتبَّعُ مَنابِتَهَا نَجِدُهَا مُجْتَلَبَةً مُستعَارَةً؛ مَمَّا يَطرَحُ إِشْكَالِيةَ الأَصَالَةِ والتبعيَّةَ فِي خِطابِنَا النقدِيِّ الحدِيثِ، وَقَدْ تُعانِي بَعضُ هَذِهِ المبادِئِ أَوِ الأُصُولِ إِشْكَالِيَّةً أُخْرَىٰ؛ ذَلِكَ أَنَّ بَعضَ هَذِهِ المبادِئِ لَا يَصِحُّ اتخاذُهَا أَدوَاتٍ حَاسِمَةً أَوْ نَاجِزَةً لِقَراءَةِ النصِّ الأَدَبِيِّ، وَإِنْ صَحَّ اتِّخَاذُهَا مَعَ بَعضِ النصُوصِ فَلَا يَصِحُّ تَعْمِيمُهَا أَوِ اطِّرَادُهَا.

وَقَدْ كَانَ الدُّكتُورُ **مُحمَّدُ حَمَاسَة** وَاحِدًا مِنْ نُقَّادِنَا المعَاصِرِينَ الذِينَ تَبَنَّوا مَجموعَةً مِنَ المبادِئِ النقْدِيَّةِ؛ فكَانَتْ خُلاصَةَ رُؤيتِهِ أَوْ مَنْهَجِهِ فِي التحْلِيلِ النَّصِّيِّ، وَقَدْ رَأيتُ أَنَّ هَذِهِ المبَادِئَ بحَاجَةٍ إِلَىٰ مُراجعَةٍ أَوْ مُساءَلَةٍ تُبيِّنُ حَظَّهَا مِنَ الأَصَالَةِ وَالتبَعِيَّةِ أَوَّلًا، وَتَكشِفُ نَصِيبَهَا مِنَ الصوَابِ وَالدِّقَّةِ ثَانِيًا.

فَإِلَىٰ المسَاءَلَةِ .. وَاللهُ المسْتَعَانُ.

أولًا: تشكُّل الرُّؤية النصية لدى د. حماسة

لَا يَسْتغْنِي تَطْبِيقٌ عَنْ تَنظيرٍ؛ أَوْ كَمَا قَالَ د. مُصطفَىٰ نَاصِف: "إِنَّ التحْلِيلَ لَا يَستغْنِي عَنْ نَظرِيَّةٍ أَوْ نَظَرِيَّاتٍ كَثيرَةٍ. وَلَكِنْ هُناكَ نَظَرِيَّاتٌ جَيدَةٌ وَأُخْرَىٰ رَدِيئَةٌ"(٨). لَكِنَّنا مِنَ الكِتَابَاتِ النظريَّةِ فِي خِطابِنَا النقْدِي الحدِيثِ بِإِزَاءِ نَمطَينِ مِنَ التنظِيرِ:

أولُهُمَا – تَنظيرٌ سَابِقٌ جَاهِزٌ، وَذَلِكَ حِينَ يَعْمِدُ نَاقِدٌ مَا يَبتغِي قِرَاءةَ نَصٍّ مَا، فَيَتوَسَّلُ إِلَىٰ قِرَاءَةِ ذَلِكَ النَّصِّ بِمَقولَاتٍ جَاهِزَةً، قَدْ تَكونُ بِنيويَّةً، أَوْ أُسلُوبيَّةً، أَوْ سِيميَائِيَّةً، أوْ تَفكِيكيَّةً ... أَوْ مَا شِئْتَ مِنْ مَدَاخِلَ أُخْرَىٰ، ثُمَّ يَقْسِرُ نَصَّهُ عَلَىٰ اتِّبَاعِ تِلكَ المقُولَاتِ، وَإِنْ كَانَ النصُّ يَأْبَاهَا.

وَثَانيهِمَا – تَنظِيرٌ لَاحِقٌ أَوْ تَابِعٌ لِلنصِّ ذَاتِهِ، يَنبُعُ مِنْهُ، وَلَا يُفْرَضُ عَليهِ، أَوْ يُستنبَطُ مِنْ نُصُوصٍ عِدَّةٍ، يَتأملُهَا النَّاقِدُ مَلِيًّا فَيُدرِكُ أَدوَاتِ قِرَاءَتِهَا، وَيَكْتَنِهُ جَمَالِياتِهَا، وَلَا يُقَارِبُهَا بِأدوَاتٍ أَوْ وَسَائِلَ جَاهِزَةٍ رُبَّمَا تُوافِقُهَا وَرُبَّمَا تُخالِفُهَا.

وَيَلفِتُ النظَرَ أَنَّ النمَطَ الأَوَّلَ مِنَ التنظِيرِ (التنظِيرِ الجاهِزِ) أَغْلَبُ وَأَكثَرُ ذُيُوعًا فِي خِطَابِنَا النقْدِي الحدِيثِ، وَلَو أَنَّ نَقدَنَا العَرَبِيَّ الحدِيثَ اسْتَنبَطَ مَقولَاتِهِ أَوْ مَبادِئَهُ النقديَّةَ مِنَ النصُوصِ ذَاتِهَا، لَكَسَبَ خَيْرًا كَثِيرًا، فَلَيسَتْ كُلُّ المقُولَاتِ الجاهِزَةِ الناجِزَةِ صَالِحَةً لِقِرَاءَةِ كُلِّ النصُوصِ، نَاهِيكَ عَمَّا فِي بَعضِهَا مِنْ خَلَلٍ، وَرُبَّمَا يَختلِفُ النقَّادُ حَوْلَ كَثيرٍ مِنهَا؛ فَتَرَىٰ بَعضَهم يَرْفُضُهَا، وَبَعضَهم يُحَامِي عَنْهَا؛ أَيَّ أَنَّ بَعضَ المبادِئِ النقديَّةِ لَيْسَتْ مَحلَّ

اتفَاقٍ، وَبَعضَهَا رَدِيءٌ كَمَا أَشَارَ د. **مصطفىٰ نَاصِف** آنِفًا.. وَإِنَّ البَوْنَ لَبعِيدٌ بَينَ تَنظِيرٍ مُستَعَارٍ يُفرَضُ عَلَىٰ النصِّ، وَيُكرَهُ النَّصُّ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ، وَتَنظِيرٍ ذَاتِيٍّ يَنْبُعُ مِنَ النصِّ ذَاتِهِ، وَيَهتَدِي بِهُدَاهُ فِي صِيَاغَةِ مَبادِئِ القِرَاءَةِ النصِّيَّةِ.

وَلَقدْ نَبتَتْ فِكْرَةُ نَحْوِ النصِّ وَتَشكَّلَتْ لَدَىٰ د. **حَمَاسَةَ** مَعَ أَوَّلِ دِرَاسَةٍ كَتبَهَا؛ وَهِيَ كِتابُهُ (**لُغةُ الشِّعْرِ: دِرَاسَةٌ فِي الضَّرُورَةِ الشِّعْرِيَّةِ**) فَقدْ حَمَلَ آخِرُ سَطْرٍ فِي مُقدمَةِ ذَلِكَ الكِتَابِ البِشَارَةَ بِنَحْوٍ جَدِيدٍ[٩]، كَمَا أَنَّ د. **حَمَاسَة** قَدْ رَبَطَ بعضَ ظَواهِرِ الضَّرورَةِ الشعريَّةِ بِدِلالَاتٍ خَاصةٍ لَا تَتحقَّقُ بِدُونِهَا، مِنْ ذَلِكَ مَثلًا قَولُهُ عَنْ (قَطْعِ هَمزَةِ الوَصْلِ) التِي عَدَّهَا النحَاةُ ضَرُورَةً: "وَمَهمَا يَكنْ مِنْ أَمْرِ قَطْعِ هَمزَةِ الوَصْلِ، فَإِنَّهُ لَيُلَاحَظُ أَنَّ قَطْعَهَا فِي الأبياتِ الثلاثَةِ السابقَةِ يُحَسُّ لَهُ مَعنًىٰ لَا يُدْرَكُ مَعَ وَصْلِهَا؛ إِذْ إِنَّ قَطْعَها يُوحِي بِابتدَاءِ جُمْلةٍ جَديدَةٍ، وَيُرشِدُ القَارِئَ إِلَىٰ أَنْ يَقِفَ عَلَىٰ آخِرِ الشطْرِ الأَوَّلِ، لأَنَّ نَغمَةَ إِنْشَادِ الشطْرِ الثانِي يَجبُ أنْ تَختَلِفَ عَنْ نَغمَةِ إنشَادِ الشطْرِ الأَوَّلِ، فَيكُونُ الشِّعْرُ بِذَلِكَ أَكثَرَ إِيحَاءً. كَمَا أَنَّ القَطْعَ فِي البيْتِ الأَخِيرِ يُشْعِرُ بنَوْعٍ خَاصٍّ مِنَ التأْكِيدِ.**وَلعلَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشعَرَاءَ حِينَما يَرتَكِبُونَ بَعضَ مَا يَعدُّهُ النحَاةُ ضَرُورةً، إِنَّما يُرِيغُونَ إِلَى مَعَانٍ خَفِيَّةٍ فِي نُفوسِهِم لَا يُمكِنُ تَلمُّسُهَا فِي ظِلِّ قَوَاعدِ النحَاةِ، وَلِهذَا يَجِبُ أَنْ يُدْرَسَ الشعْرُ دِرَاسَةً خَاصَّةً**"[١٠]. وَالجمْلةُ الأَخِيرَةُ فِي كَلَامِ د. **حَمَاسَةَ** الآنِفِ تُشِيرُ إِلَىٰ خُصوصِيَّةِ اللغَةِ الشِّعْرِيَّةِ، وَتُؤكِّدُ مَبدَأً مُهمًّا دَعَا إِلَيهِ د. **حَمَاسَةُ** فِي غَيْرِ مَوضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ (**لُغةُ الشِّعْرِ**)، وَهُوَ: **ضَرُورَةُ الفَصْلِ**

بينَ الشعْرِ وَالنثْرِ فِي التقْعِيدِ النحْوِيِّ[١١]، فَإِنَّ النحَاةَ أَخْطَؤُوا حِينَما خَلطُوا بينَهما فِي التَقعِيدِ اللغوِيِّ.

فَلَا رَيبَ أَنَّ هَذِهِ الإِشَاراتِ وَغَيرَهَا، مُوحِيةٌ بِرُؤْيَةٍ بَاكِرَةٍ لَدَىٰ د. **حَماسَةَ**، تُؤمِنُ بِخصوصِيَّةِ النصِّ الشعْرِيِّ، وَخُصوصِيَّةِ تَشكِيلِهِ اللغَوِيِّ، وَتُؤْمِنُ كَذَلِكَ بِدَوْرٍ أَهَمَّ لِلنَّحْوِ مِنْ مُجَرَّدِ حَصْرِهِ فِي تِبيَانِ الصحَّةِ وَالفَسَادِ أَوِ الخَطَأِ وَالصوَابِ.

وَلَا رَيبَ كَذلكَ أنَّ هَذَا الوَعْيَ البَاكِرَ كَانَ وَرَاءَ حِرْصِ د. **حَمَاسَة** عَلَىٰ أَنْ يَستَرِدَّ النحْوُ العَربِيُّ سِيرَتَهُ الأُولَىٰ وَوَظيفَتَهُ الأَصْلية (الوَظِيفَةَ النصيَّةَ) التِي ارْتَبطَتْ بِنَشْأَتِهِ الأُولَىٰ، وَلَا عَجَبَ مِنْ ثَمَّ أَنْ تَجِدَ د. **حَمَاسَة** يَقُولُ فِي مُقدمَةِ كِتابِهِ (**النحْو وَالدِّلالةُ**): "وَقَدْ كَانَ النحْوُ العَربِيُّ مُنذُ نَشأَتِهِ الأُولَىٰ مُهتمًّا بِالمعنَىٰ، يَعتَدُّ بِهِ وَبِدَورِهِ فِي التقْعِيدِ. وَهُناكَ تَفَاعلٌ قائمٌ مُستمِرٌّ بينَ الوظيفَةِ النحويةِ وَالدِّلالَةِ المعجَمِيَّةِ لِلمفْرَدِ الَّذِي يَشغَلُ هَذِهِ الوظيفَةَ. وَيُشكِّلُ هَذَا التفَاعُلُ بَينَهُمَا، مَعَ الموقِفِ المعينِ، المعنَىٰ الدِّلَالِيَّ للجُمْلَةِ كُلِّهَا. وَالجمْلةُ هِيَ الغَايَةُ الأُولَىٰ لِكُلِّ نِظَامٍ نَحْوِيٍّ، إِذْ يَعمَلُ عَلَىٰ كَشْفِ تَركِيبِهَا، وَيُحاوِلُ أَنْ يَربِطَ بَينَ الصورَةِ الصَّوتِيَّةِ المنطُوقَةِ لَهَا وَالمعْنَىٰ المرَاد مِنْهَا مِنْ خِلَالِ النظَامِ العَقْلِيِّ الَّذِي يَحكمُهَا. وَالنحْو مِنَ اللغَةِ كَالقلْبِ مِنَ الجِسْمِ الإِنْسَانِيِّ - كَمَا يَقُولُ تشُومِسْكِي - وَإِذَا كَانَ القَلْبُ يَمُدُّ الجِسْمَ الإِنسَانِيَّ بِالدَّمِ الَّذِي يَكْفُلُ لَهُ الْحيَاةَ؛ فَإِنَّ النحْوَ يَمُدُّ

الْـجُمْلةَ بِمَعنَاهَا الأَسَاسِيِّ الَّذِي يَكْفُلُ لَهَا الصِّحَّةَ، وَيُحدِّدُ لَهَا عَناصِرَ المعنَىٰ"[١٢].

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الإِشَارَةُ عامةً؛ فَإِنَّ د. **حَمَاسَةَ** زَادَهَا تَخصِيصًا، حِينَما أَشَارَ إِلَىٰ وَمْضَةٍ فَرِيدَةٍ **لِسيبوَيْهِ** تَناوَلَ فِيهَا استقامَةَ الكَلَامِ وَإِحالَتَهُ؛ حَيْثُ يَرَىٰ د. **حَمَاسَةُ** فِي نَصِّ **سِيبوَيْهِ** عَلَىٰ وَجَازَتِهِ بُذُورَ نَظَرِيَّةٍ نَحوِيَّةٍ دِلَالِيَّةٍ، وَكَأَنِّي بِهِ يَجعَلُ **سِيبوَيْهِ** مُؤَسِّسَ مَفهُومِ (المعنَىٰ النحْوِيِّ الدِّلَالِيِّ)[١٣]؛ حَيْثُ تَندَمِجُ قَوانِينُ النحوِ مَعَ قَوانِينِ الدِّلَالَةِ فِي تَوَاؤُمٍ حَمِيمٍ[١٤].

ثانيا: أُصولُ التحلْيلِ النصِّي لدَى د. حَماسَة

لَعَلَّ أوَّلَ مَا يُحْمَدُ لأُستاذِنَا الدكتُورِ **حَماسَةَ** – فِيمَا كتبَهُ فِي إِطَارِ (نَحْوِ النصِّ) – أَنْ جَمَعَ بينَ التنظِيرِ وَالتطبِيقِ، فَكانَ تَطبيقُهُ مَبنيًّا عَلَىٰ رُؤْيَةٍ نَصيَّةٍ تَرْفِدُهَا جَدَاوِلُ تُراثِيَّةٌ، وَأُخْرَىٰ مُعاصِرَةٌ: عَرَبِيَّةٌ وغَرْبِيَّةٌ، وَمِنْ ثَمَّ نَجِدُ فِي خِطابِهِ مَقولَاتِ: سِيبويْه، وَابْنِ جِنِّي، وَعَبدِ القاهِرِ الجرجَانِيِّ، وَمُصطَفَىٰ نَاصِف، وَمَحمُودِ الرَّبيعِي، مِثْلَما نَجِدُ مَقولَاتِ: دُوسوسِير، وَيَاكبسُون، وتشُومِسْكِي، وتُودُورُوف وبلاكمور وَغَيرِهم، مِمَّنْ أَسْهَمُوا فِي تكوينِ رُؤيَتِهِ النصيَّةِ، أَوْ أَفَادَ مِنْهُم فِي مُمارَسَاتِهِ التطبِيقِيَّةِ.

وَيَكفِينَا فِي هَذِه الدِّرَاسَةِ أَنْ نَعْرِضَ لِلمبَادِئِ أوِ الأُصولِ الكُلِيَّةِ التِي قَارَبَ د. **حَمَاسَةُ** النصَّ الشِّعْرِيَّ عَلَىٰ هَدْيِهَا، وَأَنْ نَتْرُكَ المقُولَاتِ أَوِ المبَادِئَ الجزْئِيَّةَ لِلإِحَالَاتِ كُلَّما اقتضَىٰ الأَمْرُ إِشَارَةً إِلَىٰ مَقولَةٍ جُزئِيَّةٍ لِلدكتورِ **حَماسَةَ** أَوْ غَيْرِهِ.

أمَّا هَذِهِ الأُصُولُ الكُلِيَّةُ:

فَأَوَّلُهَا – حَتمِيَّةُ المدْخَلِ النحْوِيِّ

يُؤْمِنُ د. **مَحمُود الرَّبيعِيِّ** بِمَبدَأَيْنِ مُهمَّيْنِ فِي تَحلِيلِ النصِّ الأَدَبِيِّ:

أَوَّلُهُما – حَتميَّةُ المدْخَلِ اللُّغوِيِّ[١٥] إِلَىٰ النصِّ الأَدبِيِّ.

وَثَانِيهِمَا – ضَرُورَةُ عَزْلِ النصِّ عَنْ ظُرُوفِ إِنتَاجِهِ، وَحَيَاةِ صَاحِبِهِ[١٦]، وَهُمَا مَبدآنِ مُترَابِطَانِ مُتدَاخِلَانِ، وَمِنْ ثَمَّ لَا يَنِي د. **الرَّبيعِيِّ**، يُؤَكِّدُهُما، وَيَدْعُو إِلَيهِمَا مُجتَمِعَيْنِ أَوْ مُتفَرِّقَيْنِ فِي مَوَاضِعَ كَثيرَةٍ مِنْ كُتبِهِ.

وَقَدْ يَعْجَبُ القَارِئُ أَنْ رَآنَا نَبدَأُ بِالدكتورِ **الربيعِيِّ** فِي سِيَاقِ بَحْثٍ

يَتَحَدَّثُ عَنْ د. **مُحمَّد حَمَاسَة**، غَيْرَ أَنَّ عَجَبَهُ يَزُولُ حِينَ يَعلَمُ أَنَّ د. **حَمَاسَة** يَأْتَمُّ بِأستاذِهِ د. **الرَّبيعِيِّ** فِي تَبَنِّي ذَيْنِكَ المبَدَأَيْنِ النَّصيينِ وَيَحذُوهُ فِيهِمَا، بَلْ يَحْذُوهُ فِي جُلِّ مَقُولَاتِهِ النَّقْدِيَّةِ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، وَلَسْنَا بِذَلِكَ نَتقوَّلُ عَلَىٰ د. **حَماسَة**؛ فَإِنَّ إِعْجَابَهُ وَفِتنتَه بِأستَاذِهِ د. **الرَّبيعِيِّ** جَلِيَّةٌ وَاضِحَةٌ، يَعْرِفُهَا كُلُّ ذِي صِلَةٍ بِهِمَا أَوْ بِكُتُبِهِما، وَمَا لَنَا نَذْهَبُ بَعِيدًا، وَقَدِ اعتَرَفَ د. **حَمَاسَةُ** نَفْسُهُ - وَالاعْتِرَافُ سَيِّدُ الأَدِلّةِ - بِأَنَّهُ تَجَاوَزَ فِي عَلاقَتِهِ بِمَنهَجِ د. **الرَّبيعِيِّ** الإِدْرَاكَ وَالإِعْجَابَ إِلَىٰ التَّأَثُّرِ النَّافِذِ، وَالتشَرُّبِ الْحَمِيمِ، يَقُولُ د. **حَمَاسَةُ**: "يَستَطِيعُ القَارِئُ العَادِيُّ لأَعْمَالِ الدكتُورِ مَحمُودِ الرَّبيعِيِّ النقَّديَّةِ أَنْ يَستخْلِصَ بِغَيْرِ عَنَاءٍ الخصَائِصَ الخاصَّةَ لِمَنهَجِهِ النقْدِيِّ لِمَا تَتميزُ بِهِ أَعْمَالُهُ مِنْ سَلَاسَةٍ، وَوُضُوحٍ فِي الْعَرْضِ، وَصَفَاءٍ فِي اللغَةِ، وَنَقَاءٍ فِي الفِكْرِ، وَاطِّرَادٍ فِي المنهَجِ وَعُمْقٍ فِي التنَاوُلِ. **وَإِذَا كَانَ القَارِئُ العَادِيُّ يَستَطِيعُ هَذَا بِغَيْرِ عَنَاءٍ، فَإِنَّ التِّلمِيذَ المصَاحِبَ يَتَجَاوَزُ الإِدْرَاكَ السَّهْلَ اليَسِيرَ إِلَى التَّأَثُّرِ النَّافِذِ، وَالتشَرُّبِ الْحَمِيمِ**"(١٧).

وَلَئِنْ كَانَ د. **الرَّبيعِيُّ** قَدْ أَلَحَّ عَلَىٰ حَتْمِيَّةِ **المدْخَلِ اللغَوِيِّ** إِلَىٰ النَّصِّ، فَلَقَدْ أَكَّدَ د. **حَمَاسَةُ** حَتمِيَّةَ **المدْخَلِ النحْوِيِّ** إِلَىٰ النَّصِّ، وَلَيسَ ذَلِكَ بِفَارِقٍ كَبِيرٍ بَينَهُمَا؛ ذَلِكَ أَنَّ د. **حَمَاسَةَ** يَختَزِلُ المدْخَلَ اللُّغَوِيَّ فِي المدْخَلِ النحْوِيِّ، وَهَاكَ ثَلاثةُ نُصُوصٍ مِمَّا قَالهُ د. **حَمَاسَةُ** فِي ذَلِكَ الإِطَارِ - وَمَا قَالهُ فِيهِ كَثِيرٌ -:

١- يقولُ د. **حَمَاسَةُ** فِي مُقدمَةِ كِتابِهِ (اللغةُ وَبِنَاءُ الشِّعْرِ): ".. وُكُلُّ هَذِهِ الفُصُولِ تُؤَكِّدُ مَبدَأً أَعْتَنِقُهُ وَأُومِنُ بِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَعَانُقِ النَّحْوِ مَعَ النصِّ الأَدَبِيِّ وَالانْطِلَاقِ مِنَ (النحْوِ) فِي تَفْسِيرِ النصِّ الشِّعْرِيِّ؛ إِذْ إِنَّ النصَّ لَا يُمْكِنُ أَنْ (يَتَنَصَّصَ) إِلَّا بِفَتْلِ جَدِيلَةٍ مِنَ البِنْيَةِ النحْوِيةِ وَالمفرَدَاتِ، وَهَذِهِ الجدِيلةُ هِيَ التِي تَخْلُقُ سِيَاقًا لُغَوِيًّا خَاصًّا بِالنصِّ نَفْسِهِ، وَعِنْدَ مُحَاوَلةِ فَهْمِ أَيِّ نَصٍّ وَتَحليلِهِ لَا بُدَّ مِنْ فَهْمِ بِنَائِهِ النحْوِيِّ عَلَىٰ مُستَوَىٰ الجمْلَةِ أَوَّلًا وَعَلَىٰ مُسْتَوَىٰ النصِّ كُلِّهِ ثَانِيًا. وَمَفْهُومُ (النحْوِ) هُنَا أَوْسَعُ مِنَ المفْهُومِ الَّذِي يَحْصرُهُ فِي دَائِرَةِ الإِعْرَابِ الضيقَةِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ"[١٨].

٢- وَيَقُولُ: "وَمِنْ هُنَا يُصْبِحُ **المدْخَلُ النحْوِيُّ أَكْثَرَ انْفِتَاحًا مِنْ أَيِّ مَنْهَجٍ آخَرَ**؛ لأَنَّهُ يُتِيحُ حُرِيَّةً فِي التطْبِيقِ تَتوَازَىٰ مَعَ حُرِّيَّةِ الشعْرِ نفسِهِ فِي الإِبدَاعِ. المدْخَلُ النحْوِيُّ يَأْخُذُ النصَّ كُلَّهُ بِوَصْفِهِ وَحْدَةَ التحْلِيلِ فَلَا يَجْتَزِئُ بِشَذَرَاتٍ مِنَ النصِّ للاستِشْهَادِ، لأَنَّ كُلَّ جُزْءٍ فِيهِ يُشَكِّلُ جُزْءًا مِنْ بِنْيَتِهِ الدِّلَالِيَّةِ، فَالْجُمَلُ فِي القَصِيدَةِ - كَمَا يَقولُ **تُودُورُوف** - تَتَكَامَلُ بِوَصْفِهَا جُزْءًا مِنْ مَنطُوقَاتٍ أَكْبَرَ وَتَتكَامَلُ هَذِهِ المنطُوقَاتُ مَعَ وَحدَاتٍ أَكْبَرَ حَجْمًا وَهَكذَا حَتَّىٰ نَصِلَ إِلَىٰ القَصِيدَةِ كُلِّهَا"[١٩].

٣- وَيَقولُ: "وَقَدْ أَبْدُو مُنْحَازًا إِلَىٰ **المعنَىٰ النحْوِيِّ الدِّلَالِي** بِوَصْفِهِ مَدْخَلًا مُهِمًّا أَوْ مَدْخَلًا مَوْضُوعيًّا مِنْ مَدَاخِلِ فَهْمِ الشِّعْرِ وَتَفْسِيرِهِ، **بَلْ هُوَ أَهَمُّ المدَاخِلِ جَمِيعِهَا**، وَذَلِكَ لأَنَّ المعْنَىٰ النحْوِيَّ الدِّلَالِيَّ نَتِيجَةُ

التفَاعُلِ بَينَ الوَظَائِفِ النحْوِيَّةِ المخْتَارَةِ لِشَغْلِهَا فِي بِنَاءِ الْجُمْلةِ الوَاحِدَةِ، وَفِي إِطَارِ السيَاقِ الْخاصِّ وَالعَامِّ، عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُلْغِي المدَاخِلَ الأُخْرَىٰ وَلَا يُقَلِّلُ مِنْ أَهَمِّيَّتِهَا مَا دَامَتْ مُعتَمِدَةً عَلَىٰ التَّرْكِيبِ اللُّغَوِيِّ، بَلْ إِنَّهَا بِطَرِيقَةٍ مَا تَنْضَمُّ إِلَيهِ بِوَصْفِهِ أَسَاسًا مَوْضُوعِيًّا لِلطَّبَقَةِ الأُولَىٰ مِنْ طَبقَاتِ المعنَىٰ التِي لَهَا فَاعِلِيَّةٌ كُبْرَىٰ فِيمَا عَدَاهَا مِنْ طَبَقَاتٍ"[٢٠].

وَمَا أَرَانِي بِحَاجَةٍ إِلَىٰ نُقُولٍ أُخَرَىٰ مِنْ كُتُبِ **د. حَمَاسَةَ** لِتَأْكِيدِ إِيمَانِهِ بِأَوْلَوِيَّةِ المدْخَلِ النحْوِيِّ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ المدَاخِلِ وَإِنْ تَعَدَّدَتْ، أَوْ تَأْكِيدِ اختِزَالِهِ المدْخَلَ اللُّغَوِيَّ فِي المدْخَلِ النحْوِيِّ[٢١]، وَقَدْ نُوَافِقُ **د. حَمَاسَةَ** عَلَىٰ أَنَّ المعنَىٰ النحْوِيَّ يَأْتِي فِي الطبقَةِ الأُولَىٰ مِنْ طَبَقَاتِ المعنَىٰ، لَكِنَّنَا لَا نُوَافِقُهُ عَلَىٰ اخْتِزَالِ المدْخَلِ اللُّغَوِيِّ فِي المدْخَلِ النحْوِيِّ، فَلَيْسَ النحْوُ سِوَىٰ نِظَامٍ مِنْ أَنْظِمَةِ اللغةِ أَوْ مُسْتَوًىٰ مِنَ مُستَوَيَاتِهَا؛ وَدَلِيلُنَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ **د. تَمَّام حَسَّان**: "وَاللُّغَةُ نِظَامٌ أَكْبَرُ مُؤَلَّفٌ مِنْ أَنْظِمَةٍ فَرْعِيَّةٍ كَنِظَامِ الأَصْوَاتِ وَنِظَامِ المقَاطِعِ وَنِظَامِ الصيَغِ وَنِظَامِ الاشْتِقَاقِ وَنِظَامِ أَقْسَامِ الكَلَامِ وَنِظَامِ النحْوِ إِلَخ، فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ الجِسْمِ الإِنْسَانِيِّ الَّذِي يُمثِّلُ نِظَامًا حَيَوِيًّا ذَا وَظِيفَةٍ كُبْرَىٰ هِيَ (تَحَقُّقُ الحيَاةِ) وَلَكِنَّهُ مُكَوَّنٌ مِنْ أَنْظِمَةٍ فَرْعِيَّةٍ"[٢٢]. وَيَغْلِبُ عَلَىٰ الظَّنِّ أَنَّ هَاجِسَ التخَصُّصِ فِي عِلْمِ النحْوِ هُوَ مَا حَمَلَ **د. حَمَاسَةَ** عَلَىٰ هَذَا الاخْتِزَالِ، وَاسْتِخْدَامِ مَفهُومِ النحْوِ مُرَادِفًا لِمَفْهُومِ اللغَةِ.

وَثَانِيهَا - لِكُلِّ نَصٍّ مَدْخَلُهُ:

عَجِيبٌ أَنْ يَجْتَمِعَ هَذَا الْمَبْدَأُ وَسَالِفُهُ لَدَىٰ د. **حَمَاسَةَ**؛ وَهُوَ نَاقِدٌ يُؤْمِنُ بِأَوْلَوِيَّةِ المدخَلِ النحْوِيِّ وَفَضْلِهِ عَلَىٰ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنْ مَدَاخِلَ أُخْرَىٰ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ؛ لَكَأَنَّهُ بِذَلِكَ الْجَمْعِ يَنْقُضُ المبْدَأَ السَّالِفَ، لَكِنَّ هَذَا هُوَ وَاقِعُ الرُّؤْيَةِ النصِّيَّةِ لَدَىٰ د. **حَمَاسَةَ**؛ إِذْ تَتَضَمَّنُ القَوْلَ وَنَقِيضَهُ، فَتَرَاهُ يَقُولُ بِوَاحِدِيَّةِ المدْخَلِ مَرَّةً، وَيَقُولُ بِتعَدُّدِ المدَاخِلِ مَرَّةً أُخْرَىٰ، بِلْ إِنَّهُ يُشِيرُ إِلَىٰ تَعَدُّدِ المدَاخِلِ لِيعِيبَ ذَلِكَ التعَدُّدَ مَرَّةً، وَيَمْدَحَهُ أُخْرَىٰ، فَأَمَّا قَوْلُهُ بِوَاحِدِيَّةِ المدْخَلِ؛ فَذَلِكَ مَا يُفْهَمُ مِنْ تَقْدِيمِهِ المدْخَلَ النحْوِيَّ عَلَىٰ مَا عَدَاهُ، وَقَدْ تَنَاوَلْنَا ذَلِكَ فِي المبْدَأِ السَّالِفِ.

وَأَمَّا إِشَارَاتُهُ إِلَىٰ تَعَدُّدِ المدَاخِلِ إِلَىٰ قِرَاءَةِ النصِّ الأَدَبِيِّ، فَحَسْبُنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ مَوْضِعَيْنِ مِنْهَا:

أَوَّلُهُمَا – مَا قَالَهُ فِي أَوَّلِ صَفْحَةٍ مِنْ كِتَابِهِ (الإِبْدَاعُ الموَازِي)؛ حَيْثُ يَشْعُرُ القَارِئُ أَنَّ النَّاقِدَ مَا أَشَارَ إِلَىٰ تَعَدُّدِ المنَاهِجِ إِلَّا لِيَعِيبَهَا؛ إِذْ يَرَاهَا كُلَّهَا مَدَاخِلَ غَرِيبَةً عَلَىٰ النصِّ العَرَبِيِّ، كَمَا يَرَاهَا مُولَعَةً بِالتنْظِيرِ دُونَ التَّطْبِيقِ، وَهُوَ بِذَلِكَ يُسَوِّغُ دَعْوتَهُ إِلَىٰ حَتْمِيَّةِ تَأْسِيسِ مَنْهَجٍ عَرَبِيٍّ يُقْرَأُ بِهِ النَّصُّ الأَدَبِيُّ، وَهَاكَ بَعْضَ كَلامِهِ: "تَتعَدَّدُ المدَاخِلُ النقْدِيَّةُ لِقِرَاءَةِ النصِّ الشِّعْرِيِّ، وَتَتنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ المنطَلَقَاتِ وَالأَهْدَافِ. وَكُلهَا يَدَّعِي أَنَّهُ الأَقْرَبُ إِلَىٰ طَبِيعَةِ الشِّعْرِ، وَالأَقْدَرُ عَلَىٰ إِيجَادِ آلِيَّاتِ فَهْمِهِ، وَكَشْفِ مَكنُونَاتِهِ، وَفَضِّ أَخْتَامِ مَغَالِيقِهِ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ المدَاخِلَ المعَاصِرَةَ كُلَّهَا تَضْرِبُ بِجُذُورِهَا فِي أَرْضٍ غَيْرِ عَرَبِيَّةٍ ... وَمُولَعَةٌ بِالتنْظِيرِ دُونَ التطْبِيقِ، وَمِنْ هُنَا تَظَلُّ هَذِهِ

المدَاخِلُ أَصْدَاءً لِأَصْوَاتِ وَاقِعٍ ثَقَافِيٍّ مُخْتَلِفٍ، وَتَظَلُّ أَيْضًا غَامِضَةَ الأَبْعَادِ غَيْرَ يَسِيرَةِ التَّطْبِيقِ فِي وَاقِعِنَا العَرَبِيِّ، وَلِذَلِكَ تَظَلُّ هَذِهِ النظَرِيَّاتُ (المستَوْرَدَةُ) مَعْزُولَةً عَنِ التطْبِيقِ، مَقْصُورَةً عَلَىٰ الْجَانِبِ المعْرِفِيِّ، غَيْرَ مُتفَاعِلَةٍ مَعَ النتَاجِ الشِّعْرِيِّ ... وَإِذَا تَتبَّعْنَا الكِتَابَاتِ المعَاصِرَةَ عَنِ المنَاهِجِ النقْدِيَّةِ لَا نَجِدُ بَيْنَهَا مَنْهَجًا وَاحِدًا عَرَبِيَّ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللِّسَانِ. وَهِيَ كُلُّهَا أَثْوَابٌ جَاهِزَةٌ يُحَاوِلُ أَصْحَابُهَا أَنْ يَقْسرُوهَا عَلَىٰ الشِّعْرِ العرَبِيِّ، أَوْ أَنْ يَقْسِرُوا الشِّعْرَ العَرِبِيَّ عَلَيْهَا ... وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي لَا أُقَلِّلُ مِنْ قَدْرِ هَذِهِ المنَاهِجِ أَوْ أَغُضُّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعْرِفِيًّا، لَكِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا بِإِزَائِهَا مَنهَجُنَا أَوْ مَنَاهِجُنَا العَرَبِيَّةُ التِي تُسْهِمُ بِنَصِيبٍ فِي قِرَاءَةِ شِعْرِنَا العَرَبِيِّ"[٢٣].

وَأَنَا أُوَافِقُ د. حَمَاسَةَ عَلَىٰ حَتْمِيَّةِ تَأْسِيسِ مَنْهَجٍ عَرَبِيٍّ يُقْرَأُ بِهِ النَّصُّ الأَدَبِيُّ، وَلَعَلَّهُ بِذَلِكَ يُدِلُّ بِقِيمَةِ المنهَجِ الذِي يَتَبَنَّاهُ وَيُؤْمِنُ بِأَوْلَوِيَّتِهِ وَحَتْمِيَّتِهِ (نَحْوِ النصِّ أَوِ المدْخَلِ النحْوِيِّ)، لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَمنَعُنَا مِنْ لَفْتِ الأَنْظَارِ إِلَىٰ أَنَّ بَعْضَ المبَادِئِ النظَرِيَّةِ التِي يُؤْمِنُ بِهَا د. حَمَاسَةُ مَأْخُوذَةٌ لَحْمًا وَدَمًا مِنَ المنَاهِجِ الغَرْبِيَّةِ التِي يَعِيبُهَا.

وَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ تَالٍ مِنَ الكِتَابِ ذَاتِهِ لَا يَرَىٰ بَأْسًا فِي تَعَدُّدِ المدَاخِلِ إِلَىٰ قِرَاءَةِ النصِّ الأَدَبِيِّ؛ وَأَنَّ هَذِهِ المدَاخِلَ تَتكَامَلُ وَلَا تَتنَاقَضُ، وَلَعَلَّهُ بِذَلِكَ يُسَوِّغُ خُرُوجَهُ عَنِ المدْخَلِ النَّحْوِيِّ إِلَىٰ مَدْخَلٍ إِيقَاعِيٍّ لِقِرَاءَةِ قَصِيدَةِ (طَلَلُ الوَقْتِ)، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ يَقُولُ إِنَّ المدْخَلَ

النحْوِيَّ أَهَمُّ المدَاخِلِ إِلَىٰ قِرَاءَةِ النصِّ الشِّعْرِيِّ صَارَ يَقُولُ: "يَبْدَأُ القَارِئُ المتعَاطِفُ قِرَاءَةَ القَصِيدَةِ وَهوَ يَبْحَثُ عَنِ المدْخَلِ الملَائِمِ لَهَا، حَتَّىٰ يَستَطِيعَ الدُّخُولَ إِلَىٰ عَالَمِهَا، وَتَعرُّفَ بَعْضِ أَسْرَارِهَا. وَتَتَعَدَّدُ المدَاخِلُ، وَتَتنَوَّعُ تَنَوُّعَ ثَقَافَةِ القَارِئِ نَفْسِهِ، غَيْرَ أَنَّ القَصِيدَةَ - فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ - تُغْرِي قَارِئَهَا بِبَعْضِ المدَاخِلِ دُونَ بَعْضٍ، وَتُبْرِزُ مَفَاتِنَهَا لهُ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ السِّمَاتِ المَائِزَةِ، وَالعَلامَاتِ الدَّالَّةِ، وَوَسَائِلِ التَّشْكِيلِ التِي تُشِيرُ إِلَيْهَا، أَوْ تُلِحُّ عَلَيْهَا بِحَيْثُ تُصْبِحُ مَلمَحًا بَارِزًا فِيهَا يَصْعُبُ تَجَاوُزُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ. وَقَصِيدَةُ (طَلَلُ الوَقْتِ) لِلشَّاعِرِ أَحمَد عَبدِ المعْطِي حِجَازِي تُغْرِي قَارِئَهَا بِأكثَرَ مِنْ مَدخَلٍ، كُلٌّ مِنْهَا يُفْضِي إِلَىٰ مَا يُفْضِي إِلَيْهِ الآخَرُ، فَهِيَ مَدَاخِلُ تَتَضَافَرُ وَلَا تَتنَافَرُ، وَتَتَسَانَدُ وَلَا تَتَعَانَدُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَذَلِكَ"(٢٤).

وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامَ د. **حَمَاسَةَ** يَدَعُ قَارِئَهُ حَيْرَانَ لَا يَدْرِي: آلْمَدْخَلُ النحْوِيُّ أَهَمُّ المدَاخِلِ وَأَوْلَاهَا بِالنَّصِّ، أَمْ أَنَّ لِكُلِّ نَصٍّ مَدْخَلًا هُوَ أَوْلَىٰ بِهِ؟! أَيَكُونُ تَعَدُّدُ المدَاخِلِ أَمَارَةَ تَبَعِيَّةٍ لِلنَّقْدِ الغَرْبِيِّ أَمْ أَمَارَةَ تَكَامُلٍ وَتَعَاضُدٍ بَينَ المدَاخِلِ؟! وَإِذَا كَانَ كُلُّ مَدْخَلٍ يُفْضِي إِلَىٰ مَا يُفْضِي إِلَيْهِ غَيْرُهُ، وَأَنَّ هَذِهِ المدَاخِلَ - عَلَىٰ تَعَدُّدِهَا - لَا يُمْكِنُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُتضَافِرَةً مُتَسَانِدَةً؛ فَمَا جَدْوَىٰ تَعَدُّدِ المدَاخِلِ وَتَنَوُّعِهَا إِذَنْ مَا دَامَتْ سَتُؤَدِّي إِلَىٰ نَتِيجَةٍ وَاحِدَةٍ؟!!

وَثَالِثُهَا - كُلِّيَّةُ النَّصِّ وَوَحْدَتُهُ

لَقَدْ جَعلَ د. حَماسَةُ (كُلية النصِّ) أَوَّلَ مَعْلَمٍ مِنْ مَعالِمِ مَنهجِهِ فِي التحْليلِ النصِّيِّ، وَلَعلَّنَا ظَلمنَا ذلكَ المعلَمَ حِينَ أَخَّرْنَاهُ، فَقَدْ كَانَ يَنبغِي أَنْ نَبدَأَ بِهِ؛ لَكنَّنَا لَمْ نَجِدْ مَنَاصًا مِنَ البَدْءِ بِمَا يُؤَكِّدُ إِيمَانهُ بِحَتمِيَّةِ المدْخَلِ النحْوِيِّ وَكَفاءَتِهِ فِي تَحْلِيلِ النصِّ الأَدَبِيِّ، حَتَّىٰ إِذَا انتَقَلْنَا إِلَىٰ تِبْيَانِ بَعْضِ مَعَالِمِ ذَلِكَ المنهَجِ قَدَّمْنَا مَا قَدَّمَهُ د. حَماسَةُ، فَهوَ لَا يُؤْمِنُ بِكُلِيَّةِ النصِّ وَحَسْبُ، بَلْ يُؤْمِنُ كَذَلِكَ بِحَتْمِيَّةِ هَذِهِ الكُليةِ، وَتَلَازُمِهَا مَعَ النصِّ الأَدَبِيِّ؛ فَكُلُّ نَصٍّ عِنْدَهُ بِنيَةٌ كُلِيَّةٌ وَإِنْ بَدَا غَيْرَ ذَلِكَ، وَالقَصِيدَةُ لَدَيْهِ كُلٌّ مُتكامِلٌ وَإِنْ بَدَتْ فِي ظَاهِرِهَا غَيْرَ ذَلِكَ وَانْظُرْهُ يَقُولُ فِي لُغَةٍ حَاسِمَةٍ جَازِمَةٍ: **"لَا بُدَّ مِنَ النظَرِ إِلَىٰ القَصِيدَةِ عَلَىٰ أَنَّهَا نَصٌّ وَاحِدٌ وَبِنْيَةٌ مُتكَامِلَةٌ لَا يُغْنِي جُزْءٌ مِنْهَا عَنْ جُزْءٍ آخَرَ. وَالنصُّ الوَاحِدُ يَتفَاعَلُ بَعضُهُ مَعَ بَعْضٍ بِطَبِيعَةِ كَوْنِهِ نَصًّا وَاحِدًا. وَقَدْ تَبْدُو القَصِيدَةُ فِي بِنْيَتِهَا الظاهِرَةِ جَامِعَةً لِعَدَدٍ مِنَ الصوَرِ لَيسَ بَينَهَا - كَمَا قَدْ يَظْهَرُ - رِبَاطٌ جَامِعٌ، إِلَّا أَنَّهَا جَمِيعًا فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ذَاتِ وَزْنٍ وَاحِدٍ وَرَوِيٍّ وَاحِدٍ. إِنَّنَا نَظْلِمُ الشِّعْرَ ظُلْمًا بَيِّنًا إِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ القَصِيدَةِ عَلَىٰ أَنَّهَا كَذَلِكَ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لِلقَصِيدَةِ (بِنيةٌ عَمِيقةٌ) تَجمَعُ هَذِهِ الصُّوَرَ فِي إِطَارٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ تَباعُدِ مَا بَينَهَا ظَاهِرِيًّا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الإِطَارَ يَتَّسِعُ لِضَمِّ هَذِهِ الصوَرِ بِحَيْثُ تَكُونُ كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا مُعَادِلًا لِبُعْدٍ مِنْ أَبْعَادِ القَصِيدَةِ، وَبَينَ هَذِهِ الأَبعَادِ خُيُوطٌ نَاسِجَةٌ، وَعَلاقَاتٌ رَابِطَةٌ"**[٢٥].

إِنَّ هَذَا الإِيمَانَ الحتْمِيَّ بِكُليّةِ النصِّ يُوحِي بِأَنَّ النصُوصَ كُلَّهَا سَوَاءٌ، وَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ نَصٌّ مُفكَّكٌ أَوْ غَيْرِ مُتَرَابِطٍ، وَيَعْنِي كَذَلِكَ أَنَّ أَيَّ مُبدِعٍ مُوَفَّقٌ

– لَا مَحَالةَ – فِي حَبْكِ نَصِّهِ وَسَبْكِهِ، وَتَحقِيقِ التَّرَابُطِ بَينَ عَنَاصِرِهِ وَصُوَرِهِ، وَأَنَّ أَيَّ نَاقِدٍ يَصِفُ نَصًّا مَا بِأَنَّهُ مُفَكَّكٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّهِمَ نَفْسَهُ بِالعجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ بِنيَةِ النصِّ العَمِيقَةِ، وَهَذَا كَلَامٌ يَحتَاجُ إِلَىٰ إِعَادَةِ نَظَرٍ؛ فَمِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ النصُوصَ تَتفَاوَتُ فِي حَظِّهَا مِنَ التَّرَابُطِ وَالتفَكُّكِ، وَلَوْ أَنَّ أُستَاذَنَا الدكتورَ **حَمَاسَةَ** تَخَفَّفَ فِي صِيَاغَةِ رُؤْيَتِهِ مِنْ كَلِماتٍ مُوحِيَةٍ بِالْحَتْمِ وَالوُجُوبِ؛ مِنْ نَحْوِ: (**لَا بُدَّ – فَعَلَيْنَا – لَا يَصِحُّ – يَنْبَغِي**)؛ لَتَرَكَ مِسَاحَةً لِلاسْتِثْنَاءِ أَوِ احْتِمَالِ مُخَالَفَةِ مَا حَسِبَهُ يَقِينًا.

وَإِذَا تَجَاوَزْنَا تِلْكَ الثُّغْرَةَ فِي كَلَام د. **حَمَاسَةَ** فَإِنَّنَا نَلْحَظُ أَنَّ إِيمَانَهُ الحتْمِيَّ بِكُلِّيَّةِ النصِّ قَدْ أَنْتَجَ لَدَيْهِ حَتْمِيَّاتٍ أُخْرَىٰ؛ أَهَمُّهَا **حَتمِيَّةُ التنَاوُلِ الكُلِّيِّ لِلنَّصِّ، وَتَحْرِيمِ تَجْزِيئِهِ**، أَوْ قِرَاءَةِ جُزْءٍ مِنهُ دُونَ آخَرَ، وَمِنْهَا كَذَلِكَ **حَتمِيَّةُ الاهتِمَامِ بِكُلِّ عُنْصُرٍ مِنْ عَنَاصِرِ النصِّ**، وَالحتْمِيَّتَانِ وَجْهَانِ لِحَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَأَمَّا الحتمِيَّةُ الأُولَىٰ فَقَدِ اتَّخَذَ د. **حَمَاسَةُ** القَصِيدَةَ الْجَاهِلِيَّةَ ذَاتَ المَوْضُوعَاتِ المتعَدِّدَةِ نَمُوذَجًا لَهَا، وَعَابَ مَنْ يَقْرَؤُهَا أَجْزَاءً وَتَفَارِيقَ، فَقَالَ: **"فَإِذَا رَأَيْنَا القَصِيدَةَ القَدِيمَةَ تَبدَأُ بِالغَزَلِ وَالذِّكْرَىٰ، ثُمَّ تَنتَقِلُ إِلَىٰ وَصْفِ الأَطلَالِ وَهِيَ دَارُ المحبُوبَةِ وَقَدْ دَرَسَتْ، ثُمَّ تَصِفُ الحيوَانَاتِ فِيهَا، وَتَنتَقِلُ بَعدَ ذَلِكَ إِلَىٰ وَصْفِ الناقَةِ أَوِ الثَّوْرِ الوَحْشِيِّ أَوِ الظَّلِيمِ أَوْ النعَامَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَرِدُ فِي القَصِيدَةِ القَدِيمَةِ، فَعلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ عَنِ العَلاقَاتِ التِي تَضُمُّ هَذِهِ العنَاصِرَ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ وَعَنْ وَظِيفَةِ كُلِّ صُورَةٍ مِنْ صُوَرِهَا مَعَ الأُخْرَيَاتِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ نَبْتُرَ هَذَا العُضْوَ مِنْ جِسْمِهِ لِنَتَنَاوَلَهُ مُنْفَصِلًا؛ فَإِنَّ**

(اليَدَ) إِذَا بُتِرَتْ مِنْ جِسْمِ صَاحِبِهَا فَإِنَّهَا سَتَظَلُّ تُسَمَّىٰ (يَدًا) وَلَكِنَّهَا لَا تَكُونُ لَهَا وَظِيفَةُ اليَدِ عِندَمَا تَكُونُ فِي الجِسْمِ الْحَيِّ، وَسَوْفَ يَتسَرَّبُ إِلَيْهَا الفَسَادُ بَعْدَ قَلِيلٍ. فَلَا يَصِحُّ - إِذَنْ - تَمْزِيقُ النصِّ أَوْ الاكْتِفَاءُ بِجُزْءٍ مِنهُ فَهَذَا عَجْزٌ عَنْ مُوَاجَهَةِ النصِّ"[٢٦].

وَأَمَّا الحتمية الثانية فَهِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِالأُولَىٰ وَمُتَرَتِّبَةٌ عَلَيهَا، وَكَلَامُ الناقِدِ نَفسِهِ يُؤَكِّدُ أَنَّ الحتميَّةَ الأُولَىٰ تَقْتَضِي الحتمِيةَ الثانِيةَ، يَقُولُ د. **حَمَاسَةُ**: "وَإِذَا أُخِذَتْ القَصِيدَةُ عَلَىٰ أَنَّهَا نَصٌّ وَاحِدٌ يُعَدُّ رِسَالةً كَامِلةً ذَاتَ عَلَاقَاتٍ مُتماسِكَةٍ وَيَنبغِي أَنْ تُدْرَسَ عَلَىٰ حِدَةٍ **اقْتَضَىٰ ذَلِكَ الاهتمَامَ بِكُلِّ عُنصُرٍ مِنْ عَناصِرِ تَكوِينِ هَذَا النصِّ بِوَصِفْهِ جُزْءًا أَسَاسِيًّا مِنْ أَجزَاءِ بِنْيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا** بُدَّ أَنْ يَكُونَ لهُ دَوْرٌ فِي تَكْوِينِ هَذِهِ البِنيَةِ عَلَىٰ الهيئَةِ الوَارِدَةِ عَليهَا تَمامًا كَخَلْقِ الكَائِنِ الْحَيِّ. وَإِذَا كَانَ كُلُّ عُنْصُرٍ لهُ دَوْرٌ فِي تَكوينِ بِنيَةِ القَصِيدَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُ رَصِيدٌ مُقَابِلٌ لهُ فِي دِلَالَتِهِ الكُلِّيّةِ بِلَا شَكٍّ"[٢٧].

هَذَا النصُّ وَحدَهُ كَافٍ عَنْ نُصُوصٍ أُخْرَىٰ، لَكِنَّ د. **حَمَاسَةَ** يَعُودُ فَيُؤَكِّدُ الفِكرَةَ ذَاتَهَا فِي صَفْحَةٍ تَالِيَةٍ، فَيَقُولُ: "تَأْسِيسًا عَلَىٰ مَا سَبَقَ يَنْبَغِي أَنْ تُدرَسَ كُلُّ قَصِيدَةٍ عَلَىٰ حِدَةٍ، وَتُفَسَّرَ وَحْدَهَا فِي ضَوْءِ مُعطيَاتِهَا، وَكُلُّ دِرَاسَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَبنِيَّةً عَلَىٰ دِرَاسَةِ كُلِّ قَصِيدَةٍ عَلَىٰ حِدَةٍ، وَمَا يُقَالُ عَنْ خَصَائِصِ شَاعِرٍ مُعيَّنٍ - سَوَاءٌ أَكَانَتْ هَذِهِ الخصَائِصُ أُسلُوبِيَّةً أَوْ غَيْرَ أُسْلُوبِيَّةٍ - يُصْبِحُ عَدِيمَ الْجَدْوَىٰ وَالفَائِدَةِ الحقِيقِيَّةِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُؤَسَّسٍ عَلَىٰ دِرَاسَةِ قَصِيدَةٍ وَحْدَهَا"[٢٨].

وَلَا رَيْبَ أَنَّ إِيجَابَ د. **حَمَاسَةَ** الاهتِمَامَ بِكُلِّ عُنصُرٍ مِنْ عَنَاصِرِ القَصِيدَةِ غَيْرُ مُطَّرِدٍ؛ فَلَيْسَتْ كُلِّ عَنَاصِرِ النصِّ سَوَاءً فِي أَهَمِّيتِهَا؛ وَإِنَّما يَصِحُّ هَذَا الكَلَامُ فِي قَلِيلٍ مِنَ النصُوصِ؛ إِذَا وُفِّقَ الشَّاعِرُ أَوِ المبدِعُ فِي تَوْظِيفِ عَنَاصِرِ نَصِّهِ تَوْظِيفًا جَمَالِيًّا أَوْ فَنِّيًّا مَقْصُودًا، وَعَزَّ أَدِيبٌ يَستَطِيعُ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا يُؤَيِّدُ كَلَامِي هَذَا قَوْلُ د. **سَعْدِ مَصْلُوح**: "... كَمَا أَنَّ البَاحِثَ قَدْ يَلجَأُ إِلَىٰ استِبْعَادِ بَعْضِ العنَاصِرِ مِنَ التحْلِيلِ، إِذَا اكتَشَفَ أَنَّ لَهَا طَابَعًا عَرَضِيًّا تَحْكُمُهُ المصَادَفةُ. وَقَدْ يَرَىٰ مِنَ الأَفْضَلِ التَّركِيزَ عَلَىٰ عَنَاصِرَ بِعينِهَا، تَظْهَرُ قِيمَتُهَا القَوِيَّةُ عَلَىٰ إِسْبَاغِ خَاصِّيَّةِ (الشِّعْرِيَّة) عَلَىٰ القَصِيدَةِ"[٢٩]. وَلَسْتُ بِذَلِكَ أُوثِرُ كَلَام د. **مَصْلُوح** عَلَىٰ كَلَامِ د. **حَمَاسَةَ**، وَإِنَّما أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ مَا يُحَتِّمُهُ د. **حَماسَةُ** لَيْسَ مُسَلَّمًا، نَاهِيكَ بِأَنَّ د. **حَمَاسَةَ** نَفْسَهُ لَمْ يَستَطِعْ تَطْبِيقَ هَذَا المبْدَأِ؛ فَكَأَيِّنْ مِنْ عَناصِرَ أَهْمَلَهَا فِي دِرَاسَاتِه التَّطْبِيقِيَّةِ.

وَيَغْلِبُ عَلَىٰ الظَّنِّ أَنَّ د. **حَمَاسَةَ** لَمْ يَنْجُ فِي تَبنِّيهِ هَذَا مَبدَأَ **(كُلِّيَّةِ النصِّ وَمَا تَبعَهُ)** كَذلِكَ مِنْ أَثَرِ أُستَاذِهِ الدُّكتورِ **الزَّبيعِيِّ**، بَلْ فِي وُسْعِنَا أَنْ نَرُدَّ هَذِهِ الأفكَارَ إِلَىٰ تَأَثُّرِهِ وَتَأَثُّرِ أُسْتَاذِهِ **الزَّبِيعِيِّ** بِالبِنويَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ مَفهومَ البِنيَةِ يَتضَمَّنُ – حَسْبَ **جُون بِيَاجِيه** – المبَادِئَ الثلاثَةَ: الكُلية والتحَوُّلَاتِ وَالتنظِيمَ الذَّاتِيَّ[٣٠]، أوِ أُسلوبِيَّةِ **ليو سبتزر**[٣١] تَحْديدًا لَكِنَّنا نَزْعُمُ مُطمئِنِّينَ أَنَّ د. **الزَّبيعِيَّ** كَانَ وَاسِطَةً بَينَ د. **حَمَاسَةَ** وَمَقُولَاتِ النقْدِ الغَرْبِيِّ بِوَجْهٍ عَامٍّ؛ فَقدِ اشتَرَطَ د. **الزَّبيعِيُّ** شَرطَيْنِ لِكَيْ يُحقِّقَ المنهَجُ اللغَوِيُّ أَو

المدخَلُ اللغَوِيُّ غَايتَهُ؛ **أَولُهُما**- أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُؤخَذَ لِلتحلِيلِ قَصِيدَةٌ كَامِلةٌ؛ فَالأَبيَاتُ المفرَدَةُ وَحَتَّىٰ الأَجْزَاءُ وَالْمَقَاطِعُ مَهَما طَالَتْ، لَا تَفِي بِالغَرَضِ أَبَدًا، وَذَلِكَ لأنَّ لُبَّ هَذَا المنهَجِ مِنَ القرَاءَةِ هُوَ الكَشْفُ عَنِ الطَّرِيقَةِ التِي يُتوَصلُ بِهَا إِلَىٰ بِنَاءِ كِيَانٍ شِعْرِيٍّ كُلِّ، وَنَحنُ إِذَا اقتَصَرْنَا علَىٰ جُزْءٍ أَوْ أَجزَاءٍ مِنْ هَذَا الكُلِّ (الذِي هُوَ القَصِيدَةُ) فَقَدَ هَذَا النهْجُ مَعنَاهُ، وَضَاعَتْ خُيوطُهُ - بِالقَطْعِ - مِنْ أَيْدِينَا. **وَثَانِيهِمَا** - أَنَّهُ لَا يَنبَغِي أَنْ يَفْقِدَ كلٌّ مِنَ الناقِدِ وَقَارِئِهِ الصبْرَ أَبَدًا؛ فَالناقِدُ يَنبَغِي أَنْ يُطِيلَ الوقوفَ عِنْدَ القَصِيدَةِ، وَيُحَاوِلَ أَنْ يَستخْرِجَ مِنْهَا أَكْبَرَ قَدْرٍ مُمْكِنٍ مِمَّا يُمكِنُ أَنْ تُعْطِيَهُ، وَالقَارِئُ ينبغي أَلَّا يَمَلَّ صُحبةَ الناقِدِ وَمَا يَعْرِضُهُ عَليهِ مِنْ ظَوَاهِرَ وَاحتِمالَاتٍ، كَمَا أَنَّهُ يَنبَغِي أَلَّا يَستَحِثَّهُ إِلَىٰ مُغادَرَةِ (الحيثِيَّاتِ) وَالقَفْزِ إِلَىٰ (الأَحْكَامِ). وَالْمُهِمُّ فِي هَذَا كُلِّهِ أَنَّ النَّاقِدَ وَالقَارِئَ يَجِبُ أَنْ يَكونَا دَاخِلَ النصِّ، وَأَنَّ الحدِيثَ كُلَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكونَ (فِي القَصِيدَةِ) لَا (عَنِ القَصِيدَةِ). وَمِنْ شَأْنِ ذَلِكَ أَنْ يَخْلُقَ مُثَلَّثًا مُتَسَاوِيَ (الأَضْلَاعِ) وَمُتوَازِنًا، مِنَ: القَصِيدَةِ، وَالنّاقِدِ، وَالقَارِئ[٣٢].

وَقَدِ انتقَلَ هَذَا المبدَأُ إِلَىٰ خِطَابِنَا النقْدِيِّ العَرَبِيِّ، وَتَسلَّلَ إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الكِتَابَاتِ التِي عُنِيَتْ بتنظِيرِ المنَاهِجِ الغربيةِ الحديثَةِ كَالبِنويَّةِ والأُسلوبيَّةِ والنقْدِ الجدِيدِ، فَالدكتورُ **صَلَاح فَضْل** - مَثَلًا - فِي كِتَابِهِ عِلْمُ الأُسلُوبِ يَرىٰ مَنهجَ **(لِيُو سبتسرْ)** أَشَدَّ المنَاهِجِ الأُسلوبيّةِ اكتِمَالًا فِي المرحلَةِ المبكِّرَةِ، وَيُلخِّصُ أَهَمَّ مَعالِمِهِ، فَيجعَلُ **(كُليّةَ النصِّ وَوَحدَتَهُ)** ثَانِيَهَا؛ إِذْ "يُمثِّلُ كُلُّ عَملٍ أَدبِيٍّ وَحدَةً كُليةً شَامِلةً، يَقَعُ فِي مَركَزِهَا رُوحُ مُبدِعِهَا، وَهُوَ

المبدَأُ الَّذِي يَضْمَنُ لَهَا تَماسُكَهَا الدَّاخِلِيَّ، فَرُوحُ المؤَلِّفِ – كَمَا ذَكَرْنَا – يُعَدُّ نَوْعًا مِنَ النظَامِ الشمْسِيِّ الَّذِي تَسْبَحُ فِي مُحيطِهِ وَتَنجَذِبُ إليهِ جَمِيعُ العنَاصِرِ مِنْ لُغَةٍ وَحِكَايَةٍ وَغَيرِهَا، وَيُعتَبرُ مَبدَأُ التمَاسُكِ الدَّاخِلِيّ هَذَا المحوَرَ الأساسِيَّ لِمَا يُسمِّيهِ سبتسَر (المركزَ الرُّوحِيَّ) أَوِ الطابَعَ الغَالِبَ عَلَىٰ جَمِيعِ تَفاصِيلِ العَمَلِ الَّذِي يُعتبَرُ سَببًا وَتَفْسِيرًا لَهَا"(٣٣).

وَلَم يَكُنْ غَرِيبًا مِنْ ثَمَّ أَنْ نَرَىٰ د. حَماسَة يَستبعِدُ أَنْمَاطًا مِنَ الكِتَابةِ عَنِ النصِّ مِنْ إِطَارِ مَنهجِهِ الَّذِي يَبتغِيهِ وَيُؤْمِنُ بِهِ فِي قِرَاءَةِ النصِّ الأَدَبِيِّ، وَيُسمِّيهِ (فِتْنَة النصِّ)، فَيَقُولُ: **"وَلَيسَتْ كُلُّ كِتَابَةٍ عَنِ النصِّ استجَابَةً لِهَذِهِ الفِتنَةِ، وَلَكِنَّ الكِتَابةَ التِي أَعْنِيهَا هِيَ الكِتَابَةُ المتمَحِّضَةُ لِلتعبيرِ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ العَلاقَةِ الحمِيمَةِ بينَ النصِّ وقَارِئِهِ. أَمَّا الكِتَابةُ التِي تُمْلِيهَا المهنَةُ، أَوِ الوَاجِبُ، أَوِ المجَاملةُ، أَوِ البِغْضَةُ، فَلَيْسَتْ مِنْ هَذَا النوْعِ الَّذِي أُطلِقُ عَليهِ (فِتْنَةَ النصِّ). الكِتَابةُ التِي تَقْتَطِعُ أَجْزَاءً مِنَ النصِّ ابتِغَاءَ غَرَضٍ مِنَ الأَغْرَاضِ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا النوْعِ. وَالكِتَابةُ التِي تَبْحَثُ فِي النصِّ عَنْ دَلَائِلَ غَيْرِ نَصِّيَّةٍ لَيسَتْ مِنْ هَذَا النوْعِ. وَالكِتَابةُ التِي تَختَارُ مُفرَدَاتٍ مِنَ النصِّ تُقِيمُ بَينَهَا عَلَاقَةً وَتُهْمِلُ بَاقِيَ النصِّ لَيسَتْ مِنْ هَذَا النوْعِ. وَالكِتَابةُ التِي تَستَشْهِدُ مِنَ النصِّ بِأَشيَاءَ لَا تَعْنِي بِنْيَةَ النصِّ لَيسَتْ مِنْ هَذَا النوْعِ. وَالكِتَابةُ عَنْ صَاحِبِ النصِّ أَوْ حَوْلَ النصِّ لَيسَتْ مِنْ هَذَا النوْعِ"**(٣٤).

وَسَوَاءٌ عَلينَا أَصَحَّ تَأَثُّرُ نُقّادِنَا فِي هَذَا الْمَبْدَأَ (كُلِّيَّةِ النصِّ وَمَا تَبعَهُ) أَمْ لَمْ يَصِحَّ؛ فَإِنَّ المبدَأَ فِي ذَاتِهِ صَحِيحٌ وَلَا غُبَارَ عَلَيهِ، وَمَا إِخَالُ نَاقِدًا يَكرَهُ

النظْرَةَ الشمُولِيَّةَ إِلَىٰ النصِّ، أَوْ يَرْفُضُ تَحلِيلَ النصِّ كَامِلًا، أَوْ يَأبَىٰ العِنَايَةَ بِكُلِّ عَناصِرِهِ. لَكِنَّ مَا يُثِيرُ عَجبَنَا حَقًّا أَنَّ بَعْضَ نُقَّادِنَا الذِينَ تَبنَّوْا هَذَا المبدَأَ قَدْ خَالَفُوهُ؛ فَتنَاوَلُوا بَعْضَ النصُوصِ أَجْزَاءً وَتَفَارِيقَ، وَفِي مُقدِّمَتِهم أُستاذُنَا الدكتُورُ **مُحمَّد حَمَاسَة**، وَفِي جُهودِهِ التَّطبيقيَّةِ مَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ.

وَرَابِعُهَا- استِقْلَالُ النَّصِّ

يَشغَلُ هَذَا المبدَأُ حَيِّزًا وَاسِعًا مِنْ ذِهْنِ **د.حَماسَة** بِمِثْلِ مَا يَشغَلُ حَيّزًا وَاسِعًا مِنْ خِطَابِهِ النقْدِيِّ، وَآيَةُ ذَلِكَ الإِلْحَاحُ الوَاضِحُ عَلَىٰ هَذَا المبدَأِ وَتَأْكِيدُهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كُتُبِهِ[٣٥]، وَهُوَ مَبْدَأٌ مُرْتَبِطٌ بِسَالِفِهِ وَمُتَرتِّبٌ عَليهِ، وَيَغْلِبُ عَلَىٰ الظَّنِّ أَنَّ **د. حَمَاسَة** قَدْ تَبنَّىٰ هَذَا المبْدَأَ وَأَلَحَّ عَلَيْهِ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ وَجَدَ أُستاذَهُ الدُّكتورَ **الرَّبيعِيَّ** يَتبنَّاهُ وَيُلِحُّ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَىٰ ذَلِكَ آنِفًا. بَلْ مَا تَبنَّاهُ **د. الرَّبيعِيُّ** إِلَّا لأَنَّهُ وَجَدَ دُعَاةَ النقدِ الجديدِ يَتبَنَّوْنَهُ، فَلقَدْ "أَكَّدَ النقَّادُ الجدُدُ فَرَادَةَ العمَلِ الأَدَبِيِّ، وَذَاتِيتَهُ المستقِلَّةَ قَبلَ عَقْدٍ مِنَ الزمَنِ أَوْ يَزِيدُ مِنْ ظُهورِ البِنويَّةِ، وَلِهذَا لَمْ تَأتِ البِنويَّةُ بِالفتحِ المبِينِ فِي نَظَرِ النقْدِ الجدِيدِ عِندَمَا هَاجَمَتِ المنهجَ التاريخيَّ فِي دِرَاسَةِ الأَدَبِ، وَدَعَتْ إِلَىٰ قِرَاءتِه قِرَاءةً دَاخليةً، وَلَا فَرْقَ بينَ استقلاليةِ العمَلِ الأَدبِيِّ عَنِ صَاحبِهِ وَمُحيطِهِ وَمَفهومِ البِنيةِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الاصطِلَاحُ. وَلَيسَ أَمْرًا غَرِيبًا أَنْ تَلتقِيَ البِنويَّةُ مَعَ النقدِ الجديدِ فِي التمسُّكِ بِاستقلاليَّةِ العمَلِ الأَدبِيِّ كَمؤسَّسَةٍ أَوْ كَأعمالٍ متميزَةٍ عَمَّا يُسمَّىٰ بِالوَاقِعِ الخارِجِيِّ أَوِ الحقَائِقِ الفِكريَّةِ فَالعَملُ الأَدَبِيُّ عِنْدَهُم جَمِيعًا وُجُودٌ خَاصٌّ لَهُ مَنطِقُهُ وَلَهُ نِظامُهُ، أَوْ بِعبَارَةٍ أُخْرَىٰ

لَـهُ بِنيتُهُ التِي تَـتميزُ عَنْ بِنيَةِ اللغَةِ العَاديَّـةِ بِإسْقَاطِ غَـرَضِ الإبْـلَاغِ مِنْ حِسَابِ الكَاتِبِ"[٣٦].

وَمُـؤَدَّىٰ ذَلِكَ أَنَّ حَـظَّ نُـقادِنَا مِنَ التَّبعِيَّـةِ فِي تَبنِّي مَبدَأِ **(استِقْلَالِ النصِّ)** أَكْبَـرُ مِنْ حَـظِّهِم فِي الذَّاتيَّـةِ، وَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّـهُم تَـبَنَّوْا هَذَا المبدَأَ تَبنيًا حَادًّا وحَاسِمًا، وَلَـم يَتْرُكُوا مِسَاحَةً لِلنسبيَّـةِ أَوْ تَـفَاوُتِ النصُوصِ، فَـقَدْ سَلَّـطُوا هَذَا المبدَأَ عَلَىٰ كُلِّ نَـصٍّ قَارِبُـوهُ، حَتَّىٰ لَيَصِحُّ لَـنَا أَنْ نَتسَاءَلَ مَعَ **يُمنَىٰ العِيدِ**: "قَدْ لَا نَعتَرِضُ، كَمُثقفِينَ أَوْ كَمعنِيينَ بِالنقْدِ، عَلَىٰ مُقارِبَـةِ النصِّ الأدبِيِّ كَبِنْيَـةٍ، وَقَدْ نُوافِقُ عَلَىٰ عَـزْلٍ مُؤقتٍ لهذهِ البِنيَـةِ. **وَلَكِنْ هَلْ يُمكِنُنَا أَنْ نُبْقِيَ النصَّ فِي عُـزلةٍ؟ وَهَل أَنَّ النصَّ حَـقًّا مَعزُولٌ؟ وَهَلْ أَنَّ اسْتِقلالِيَّـةَ النصِّ تَعنِي إِقَامةَ الحدُودِ بَينَـهُ وَبَـينَ مَا هُوَ خَارِجٌ أَوْ قَطْعَـهُ عَنْ هَذَا الـخَارِجِ؟**". إِنَّ هَذَا التسَاؤلَ يُشكِّكُ فِي حَقيقةِ دَعْوَىٰ البِنوِيَّـةِ الصُّورِيَّـةِ فِي عَـزْلِ البِنْيَـةِ الثقَافيةِ وَالاجتِمَاعِيَّـةِ التِي أَنْتجَتْ هَذَا النَّـصَّ أَوْ ذَاكَ، وَمِنْ ثَـمَّ فَهِيَ عَاجِزَةٌ عَنِ استِكْشَافِ جَدَلِيَّـةِ الْـخَارِجِ والدَّاخِلِ (أَوْ بِتَعبيرٍ جَدَلِيٍّ، عَلَىٰ رُؤيَـةِ الْـخَارِجِ فِي هَذَا الدَّاخِلِ)[٣٧].

لَـقَدْ كَانَ أَسْلَافُنَا وَلَا سِيَّما الأُصُولِيُّونَ وَالمفَسِّـرُونَ أَكْثَـرَ وَعْيًا بِتفَاوتِ النصُوصِ، فِي مَدَىٰ استجَابتِهَا لِلتعْمِيمِ[٣٨]، أَوِ العَـزْلِ عَنْ سِيَاقَاتِـهَا، وَكَانُوا أَرْشَدَ فِي تَعامِلِهِم مَعَ سِيَاقَاتِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ وَمُلابَسَاتِـهَا؛ ذَلِكَ أَنَّ الأُصُولِيينَ وَالمفَسِّرِينَ لَـمْ يَتعَامَلُوا مَعَ مُلابَسَاتِ الآيَاتِ وَسياقَاتِ نُـزولِـهَا تَعَامُـلًا وَاحِدًا مُتحَجِّـرًا؛ فَلَمْ يَرْبِـطُوا كُلَّ الآيَاتِ بِأسبَابِ النزُولِ

ومُلابسَاتِهِ، وَلَمْ يَفْصِلُوا القُرْآنَ كُلَّهُ فَصْلًا تَامًّا عَنْ سِيَاقِهِ وَظُرُوفِ تَنَزُّلِهِ - وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي تَعامُلِهِم مَعَ أَحَادِيثِ النبِيِّ ﷺ - كَمَا يَدْعُو إِلَىٰ ذَلِكَ الْحَدَاثِيُّونَ مِنَ النقَّادِ الْجُدُدِ وَالبِنَوِيينَ، وَلَكِنَّ أَسْلَافَنَا نَظَرُوا فَرَأَوْا أَنَّ بَعضَ الآيَاتِ أَوِ النُّصُوصِ يَصِحُّ تَعْمِيمُهَا لأَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَىٰ المَبدَأِ العَامِّ الَّذِي يَصْلُحُ لِسيَاقَاتٍ مُتعدِّدَةٍ، وَأَزْمَانٍ مُختلِفَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ يَحسُنُ أَلَّا تَرْتَبِطَ هَذِهِ الآيَاتُ بِسيَاقَاتِهَا ضَرْبَةَ لَازِبٍ، وَوَضَعُوا لِذَلِكَ قَاعدَةً مُهمَّةً فِي تَلَقِّي النصِّ الشَّرْعِيِّ وَتَأْوِيلِهِ: **العِبرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ**.

ثَم نَظَرُوا فَرَأَوْا أَنَّ آيَاتٍ أُخْرَىٰ لَا يَحْسُنُ أَنْ تُفْصَلَ عَنْ سِيَاقِهَا فَصْلًا تَامًّا، وَلَوْ عَزَلَهَا المتلَقِّي عَنْ سِيَاقِهَا فَلَرُبَّمَا تَعَسَّفَ فِي تَأْوِيلِهَا فَفَهِمَهَا فَهْمًا مَدْغُولًا فَاسِدًا، أَوْ رُبَّما قَنِعَ مِنْهَا بِظَاهِرِهَا فَفَهِمَ مِنْهَا غَيْرَ مَقْصِدِهَا، وَسَمَّوْا ذَلِكَ (**وَقَائِعَ الأَعْيَانِ**)[٣٩]، وَوَضَعُوا لَهَا قَاعِدَةً مُهمَّةً كَذَلِكَ مِنْ قَوَاعِدِ التلقِّي وَالتأْوِيلِ، فَقَالُوا: **وَقَائِعُ الأَعْيَانِ لَا عُمُومَ لَهَا**.

وَيَحسُنُ أَنْ نَضْرِبَ مَثَلًا وَاحِدًا لِكُلِّ قَاعِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ القَاعِدَتَيْنِ:

فَأَمَّا القَاعِدَةُ الأُولَىٰ (**العِبرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السبَبِ**)؛ فَقَدْ وَردَتْ نُصُوصٌ شَرْعِيَّةٌ فِي سِيَاقَاتٍ خَاصَّةٍ، لَكِنَّهَا وَرَدَتْ بِصيغَةٍ عَامَّةٍ، وَ"إِذَا وَرَدَ النصُّ الشرعِيُّ بِصيغَةٍ عَامَّةٍ، وَجَبَ العَمَلُ بِعمُومِهِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ صِيغَتُهُ، وَلَا اعتِبَارَ لِخُصُوصِ السبَبِ الَّذِي وَرَدَ الحكْمُ بِنَاءً عَلَيْهِ، سَوَاءٌ كَانَ السبَبُ سُؤَالًا أَمْ وَاقِعَةً حَدَثَتْ؛ لأَنَّ الوَاجِبَ عَلَىٰ النَّاسِ اتِّبَاعُهُ، هُوَ مَا وَرَدَ بِهِ نَصُّ الشَّارِعِ، وَقَدْ وَرَدَ نَصُّ الشَّارِعِ بِصِيغَةِ العُمُومِ، فَيجِبُ

العمَلُ بِعُمُومِهِ، وَلَا يُعتبَرُ خُصُوصِيَّاتُ السؤَالِ أَوِ الوَاقِعَةِ التِي وَرَدَ النصُّ بِنَاءً عَلَيهَا؛ لأَنَّ عُدُولَ الشَّارِعِ فِي نَصِّ جَوَابِهِ أَوْ فَتْوَاهُ عَنِ الخصُوصِيَّاتِ إِلَىٰ التعْبِيرِ بِصِيغَةِ العُمُومِ، قَرِينَةٌ عَلَىٰ عَدَمِ اعتبَارِهِ تِلْكَ الخصُوصِيَّاتِ"[٤٠].

وَمِنْ أَمْثلَةِ هَذِهِ القَاعدَةِ قَوْلُ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ**﴾ [البقرة: ١٩٦]، نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ بِشَأْنِ **كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ** – رَضِيَ الله عَنْهُ – لَمَّا كَانَتْ تُؤذِيهِ هَوَامُّ رَأْسِهِ؛ فَعَنْ عَبدِالله بْنِ مَعقِلٍ، قَالَ: "جَلَسْتُ إِلَىٰ كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ – رَضِيَ الله عنهُ – فَسَألْتُهُ عَنِ الفِدْيَةِ، فَقَالَ: نَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً، وَهِيَ لَكُمْ عَامَّةً؛ حُمِلْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ والقَمْلُ يَتنَاثَرُ عَلَىٰ وَجْهِي، فَقَالَ: (مَا كُنْتُ أَرَىٰ الوَجَعَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَىٰ، أَوْ مَا كُنْتُ أَرَىٰ الجَهْدَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَىٰ؛ تَجِدُ شَاةً؟)، فَقُلْتُ: لَا، فَقَال: (فَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتةَ مَسَاكِينَ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ)[٤١].

فَهذِهِ الآيَةُ وَإِنْ نَزَلَتْ بِشَأْنِ كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ، فَالعِبْرَةُ فِيهَا بِعُمُومِ اللفْظِ، لَا بِخُصُوصِ السّبَبِ؛ لأَنَّ الآيَةَ تَعُمُّ كُلَّ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًىٰ مِنْ رَأْسِهِ وَاضْطُرَّ إِلَىٰ حَلْقِ شَعْرِ رَأْسِهِ، أَوْ لُبْسِ ثَوْبٍ، أَوْ تَغْطِيَةِ رَأْسٍ؛ "فَالوَاجِبُ بَعْدَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فِدْيَةٌ، وَهِيَ وَاحِدٌ مِنْ ثَلاثةٍ عَلَىٰ التخْيِيرِ: صِيَامُ ثَلَاثةِ أَيَّامٍ، أَوْ إِطْعَامُ سِتَّةِ مَسَاكِينَ؛ لِكُلِّ مِسْكِينٍ: حَفْنَتَانِ مِنْ طَعَامٍ، أَوْ ذَبْحُ شَاةٍ"[٤٢].

وَلَا يَعنِي ذَلِكَ أنَّ الأُصولِيينَ قَدْ وَظَّفُوا هَذِهِ القَاعِدَةَ تَوظِيفًا جَامِدًا، فَعَمَّمُوا كُلَّ نَصٍّ وَرَدَ بِصيغَةِ العُمومِ فِي مُنَاسبَةٍ خَاصَّةٍ، وَإِنَّمَا اشتَرَطُوا لِذَلِكَ أَلَّا يُوجَدَ مُعارِضٌ لِلتعْمِيمِ، يَقُولُ **السُّبْكِيُّ** رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ: "إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الأَرْجَحَ عِنْدَنَا اعتِبَارُ عُمُومِ اللفْظِ دُونَ خُصُوصِ السبَبِ، فَلَا نَعتَقِدُ أَنْ يَنْسَحِبَ العُمُومُ فِي كُلِّ مَا وَرَدَ وَصَدَرَ؛ **بَلْ إِنَّمَا نُعَمِّمُ حَيْثُ لَا مُعَارِضَ**"[٤٣].

وَأَمَّا القَاعِدَةُ الثانيةُ (**وَقَائِعُ الأَعْيَانِ لَا عُمُومَ لَهَا**)، فَقَدِ اهتمَّ بِهَا الفُقَهَاءُ وَالأُصُولِيُّونَ، والْمُحَدِّثُونَ، وَالْمُفسِّرُونَ، وَهِيَ مَبثُوثَةٌ فِي تَصَانِيفِهم؛ فَقَدْ تَناوَلَهَا الأُصُوليُّونَ فِي بَابَي العَامِّ وَالْخَاصِّ، وَتَناوَلَها الفقَهَاءُ فِي كَثِيرٍ مِنْ فِقْهِ الخِلَافِيَّاتِ، أَمَّا المحَدِّثُونَ، فَكَانَتْ لَهُم عِنَايَةٌ خَاصَّةٌ بِوَقَائِعِ الأَعيَانِ؛ لأَنَّهَا فِي الأَصْلِ أَحَادِيثُ نَبوِيَّةٌ، وَيَكفِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الإِمَامَ ابْنَ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيَّ قَدْ نَاقَشَ فِي (الفَتْحِ) مَا يَزِيدُ عَلَىٰ ثَلاثِينَ مَسْألَةً عَدَّها مِنْ قَضَايَا الأعيَانِ، وَأَنَّ ثَمَّةَ دِرَاسَةً أَكَادِيميَّةً مُستَقِلَّةً كُتِبَتْ عَنْ (وَقَائِعِ الأعيانِ فِي فَتْحِ البَارِي)[٤٤]، وَحَسبُنا أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ نَمُوذَجٍ مِمَا تَناوَلَتْهُ هَذِهِ الدرَاسَةُ، وَهُوَ نَموذَجٌ ذُو وَاشِجَةٍ بِبَحْثِنَا، عَنَيْتُ حَدِيثَهُ عَنْ (حُكْمِ رِوَايَةِ الشِّعْرِ)، فَقَدْ أَشَارَ البَاحِثُ إِلَىٰ اخْتِلَافِ الفُقَهَاءِ حَوْلَ حُكْمِ رِوَايَةِ الشِّعْرِ وَإِنشَادِهِ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ:

أَوَّلُـهما – كَـرَاهِيةُ رِوَايَـةِ الشعْرِ وَإِنْشَادِهِ، قَلِيلِهِ وَكَـثِيرِهِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ بنِ الْـخَطَّابِ وَابْـنِهِ عَبدِ الله، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ وعَبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ وَالحسَنِ وَمَسْـرُوقٍ،.

وَثَانِيهِمَا – قَوْلُ الْـجُمهُورِ بِإِبَاحَةِ رِوَايَـةِ الشِّعْرِ فَهوَ كَالكَلَامِ، حَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُـهُ قَبِيحٌ. ثُـمَّ أَرْجَعَ البَاحِثُ سَبَبَ الاختلَافِ فِي هَذِهِ المسأَلَةِ إِلَىٰ اختِلَافِهِم فِي الاستِدْلَالِ بِحَدِيثِ النبِيِّ ﷺ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخدرِيِّ – رَضِيَ الله عَنْـهُ – قَالَ: **"بَيْنَما نَحْنُ نَسِيرُ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْـعَـرْجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُـنْشِدُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: خُذُوا الشَّيْطَانَ، أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَـيْحًا خَيْـرٌ لَـهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِـئَ شِعْـرًا"**، فَأصحَابُ الرَّأْيِ الأَوَّلِ استَدَلُّوا بِـهِ عَلَىٰ كَـرَاهِيَةِ الشِّعْـرِ مُطلَـقًا وَإِنْ قَـلَّ وَسَلِمَ مِنَ الفُحْشِ، أَمَّا أَصْحَابُ الرَّأْيِ الثَّانِي فَأَجَابُـوا بِعِدَّةِ رُدُودٍ مِنْهَا أَنَّ هَذَا **الحدِيثَ وَاقِعَةُ عَيْـنٍ لَا عُمُومَ لَـهَا**، وَيُـهِمُّـنَا مَا نَقَلَـهُ الباحثُ عَنِ ابْنِ حَجَـرٍ إِذْ يَـقُولُ فِي (الفَتْحِ): "... وَقَالَ النوَوِيُّ: استُدِلَّ بِـهِ عَلَىٰ كَـرَاهَةِ الشِّعْرِ مُطْلَـقًا وَإِنْ قَلَّ وَإِنْ سَلِمَ مِنَ الفُحْشِ. وَتَعلَّـقَ بِقَولِـهِ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ (خُذُوا الشَّيْطَانَ). وَأُجِيبُ بِاحتِمَالِ أَنْ يَـكُونَ كَافِـرًا، أَوْ كَانَ الشِّعْـرُ هُوَ الغَالِبَ عَلَيهِ، أَوْ كَانَ شِعْـرُهُ الَّذِي يُـنْشِدُهُ إِذْ ذَاكَ مِنَ المـذْمُومِ. وَبِالجمْلَةِ فَهِيَ وَاقِعَـةُ عَيْـنٍ يَـتَطَـرَّقُ إِلَيْـهَا الاحْـتِمَالُ وَلَا عُـمُومَ لَـهَا فلَا حُـجَّـةَ فِيهَا"(٤٥).

وَلَيْسَتِ هَاتَانِ القَاعِدَتَانِ وَحدَهُـمَا كُـلَّ مَا فِي جَعْبَـةِ الأُصُولِيِّينَ فِي تَلَقِّىٰ النصِّ الشَّـرْعِيِّ، وَتَأْوِيلِـهِ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ بِالدِّرَاسَةِ عَنْ مَيْدَانِ النقْدِ

الأَدَبِيِّ إِلَىٰ مَيْدَانِ الفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ بِالإِشَارَةِ إِلَىٰ هَاتَيْنِ القَاعِدَتَيْنِ الأُصُولِيتيْنِ أَنْ أُؤَكِّدَ أَمْرَيْنِ مُهِمَّيْنِ:

أَوَّلُهُما - أَنَّ نُقَّادَ الأَدَبِ قَلَّما التَفَتُوا إِلَىٰ تَداخُلِ عُلومِ الثقَافَةِ العَرَبِيَّة وَتَكَامِلِهَا[٤٦].

وَثَانيهِمَا - أَنَّ النقَّادَ كَذَلِكَ قَلَّما أَفَادُوا مِنْ أُصُولِ الفِقْهِ فِي تَلَقِّي النَّصِّ الأَدَبِيِّ وَقِرَاءَتِهِ، أَسْتَثْنِي مِنْهُم فِي هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ - وَذَاكَ مَبْلَغُ عِلْمِي - **د. مُصْطفَىٰ نَاصِف** رَحِمَهُ الله، فَإِنَّ لَهُ إِشَارَاتٍ مُتعَدِّدَةً إِلَىٰ إِغْفَالِ النقَّادِ عِلْمَ أُصُولِ الفِقْهِ، وَلَطَالَمَا دَعَا إِلَىٰ الإِفَادَةِ مِنْ ذَلِكَ العِلْمِ فِي قِرَاءَةِ النَّصِّ الأَدَبِيِّ، خُذْ مَثَلًا قَولَهُ: "مَا طَبِيعَةُ العَلاقَةِ بَينَ المدْلُولِ التَّارِيخِيِّ لِلكَلِمَاتِ وَالمدْلُولِ النَّامِي العَصْرِيِّ. إِنَّنَا - مَعَ الأَسَفِ - قَلَّ أَنْ نَستَمْتِعَ بِالجهْدِ العَظِيمِ فِي التفْسِيرِ العِلْمِيِّ الْمَوْرُوثِ ... وَالغَرِيبُ أَنَّ الجدَلَ الْحَادَّ الَّذِي نَتعَرَّضُ لَهُ لَا يَكَادُ يُنَبِّهُ إِلَىٰ العَوْدِ إِلَىٰ عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ، نَحْنُ نَتحَاوَرُ حَوْلَ كَلِمَاتٍ شَائِكَةٍ دُونَ أَنْ يَمْتَدَّ بِنَا الْحِوَارُ إِلَىٰ المبَادِئِ التِي شَغَلَتْ هَؤُلَاءِ العُلَماءَ. وَلِذَلِكَ كَانَ كُلُّ المتحَاوِرِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ صَوَابٍ. وَالْمُهِمُّ هُوَ أَنَّ خِبْرَةَ الأَجْدَادِ أَحْيَانًا بِالكَلِمَاتِ فِي مَجَالِ التفْسِيرِ تَبْدُو أَرْوَعَ مِنْ خِبرَةِ الأَحْفَادِ ... لَقَدِ اهْتَمَّ عُلَمَاءُ الأُصُولِ بِفِكْرَةِ العَلَاقَةِ بَينَ النصِّ وَظُروفِهِ، وَنُوقِشَ مَبْدَأُ تَسَامِي النَّصِّ عَلَىٰ هَذِهِ الظُّروفِ كَيْفَ يَكُونُ ..."[٤٧].

وَلَا عَجَبَ بَعدَ ذَلِكَ أَلَّا نَجِدَ فِكْرَةَ (عَزْلِ النصِّ عن سِيَاقِهِ) مَحَلَّ اتِّفَاقٍ أَوْ قَبُولٍ فِي خِطَابِنَا النقْدِيِّ المعَاصِرِ؛ فَقَدْ قَاوَمَهَا بَعْضُ نُقَّادِنَا أَوْ تَعامَلُوا مَعَها بِحَذَرٍ عَلَىٰ أَقَلِّ تَقْدِيرٍ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَىٰ تَسَاؤُلِ يُمنَىٰ العِيد مِنْ قَبْلُ، وَفِي ذَرْعِنَا أَنْ نُشِيرَ كَذَلِكَ إِلَىٰ نُقَّادٍ آخَرِينَ لَمْ يَقْبَلُوا فِكْرَةَ عَزْلِ النصِّ قَبُولًا تَامًّا مِثْلَ د. عبد المنعِم تليمَة الَّذِي أَكَّدَ جَدَلِيَّةَ العَلاقَةِ بَينَ النصِّ وَسِيَاقِهِ، وَتَعَذُّرَ عَزْلِ النصِّ عَنِ المَوْقِفِ الثقَافِيّ وَالاجتِماعِيِّ[٤٨]، أَمَّا مُحمَّد بَنّيس فَيُقِرُّ بِأَنَّ النصَّ يَتمَتَّعُ بِاستقْلَالِيَّةٍ نِسْبِيَّةٍ (عَنْ الوَاقِعِ الاجتِمَاعِيِّ الَّذِي أَنْتَجَهُ، رُغْمَ العَلاقَةِ الحمِيمِيَّةِ الموجُودَةِ بَينَهُمَا، وَالنصُّ عَلَىٰ هَذَا الأَسَاسِ يَخضَعُ لِجَدَلِيَّةٍ خَاصَّةٍ، دَاخِلَ خُضُوعِهِ لِجَدَلِيَّةٍ أَعَمَّ وَأَشْمَلَ[٤٩]، وَيُؤكِّدُ د. كمَال أَبُو دِيب كَذَلِكَ جَدلِيةَ العَلاقَةِ بينَ دَاخِلِ النصِّ وَخَارِجِهِ، فَيقُول: "إِنَّ دِرَاسَةَ بِنيَةِ النصِّ الدَّاخليةِ لَا تَنفِي أَهَميَّةَ دِرَاسَةِ النصِّ فِي عَلاقَاتِهِ الخارِجِيةِ، وَالعَكْسُ صَحِيحٌ، بلْ إِنَّ كِلْتَا الدِّرَاستَيْنِ تَتحَرَّكُ، وَتُستَكْمَلُ عَلَىٰ صَعِيدٍ خَاصٍّ مُخْتَلِفٍ عَنْ، وَلَكِنَّهُ مُتكامِلٌ مَعَ، الصَّعِيدِ الآخَرِ"[٥٠].

وَزِدْ عَلَىٰ كُلِّ مَا سَبقَ أَنَّ د. حَمَاسَةَ – حِينَ تَبنَّىٰ مَبدَأَ عَزْلِ النصِّ عَنْ سِياقِهِ الخارِجِيِّ – قَدْ نَاقَضَ نَفسَهُ؛ إِذْ نَجِدُهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كُتبِهِ يُؤكِّدُ أَهميةَ السيَاقِ الْخَارجِيِّ، وَدَوْرَهُ فِي بِنَاءِ مَعنَىٰ النصِّ، خُذْ – مَثَلًا – مَوقِفَ د. حَمَاسَةَ مِنَ النحَاةِ فِي كِتَابِهِ (لُغةُ الشعْرِ)؛ إِذْ يُؤَاخِذُهُم عَلَىٰ مِعيَارِيتِهم، وَيَعيبُ حِرْصَهُم عَلَىٰ طَرْدِ قَواعِدِهم؛ فَكانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِيمَا أَصَابَ النحوَ مِنْ أُمُورٍ ذِهنيةٍ كَالقِيَاسِ وَالتأْوِيلِ وَالتقْدِيرِ وَالحذْفِ

وَالاستِتَارِ، وَكُلُّ ذَلِكَ سَبَبُهُ النظرَةُ المعيَارِيَّةُ، ثُم يَجعَلُ مِنْ مَظاهِرِ هَذِهِ المعيَارِيَّةِ إِهمالَ السيَاقِ الاجْتمَاعِي فِي دِرَاسَة هَذِهِ الظوَاهِرِ وَتَحْكِيمهَا فِي التقْعِيدِ النحْوِيِّ، يَقولُ د. **حَماسَةُ**: "إِنَّ التأْوِيلَ، والتقديرَ، والحذْفَ، وَالاستِتَارَ، نَتيجَةٌ وَاضِحَةٌ مِنْ نَتائِجِ إِهْمَالِ العنصُرِ الاجتمَاعِيِّ فِي اللغَةِ، وَسَلْخِ اللغَةِ عَنِ (الموقِفِ) الَّذِي تَقُومُ فِيهِ الحركَةُ والإِشَارَةُ، والنظْرَةُ، وَالانفِعَالُ وَالْهدُوء، وَتَعبِيرُ الوجْهِ، وَالنَّبْرِ وَالتنْغِيم، وَتَضَافُرِ القَرَائِنِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِنْ مُلابسَاتِ الحدَثِ اللغَوِيِّ بِمَا لَا يَقُومُ بِهِ الكَلامُ نَفسُهُ فِي الفَهْمِ وَالإِفْهَام. وَقَدِ اعتمَدَ النحَاةُ عَلَىٰ التأْوِيلِ والتقدِيرِ والحذْفِ والاستتَارِ، مُحاولةً مِنهُم لإِكْمَالِ النصِّ ذِهْنيًّا بعدَ فُقدَانِ العنصُرِ الاجتمَاعِيِّ الَّذِي لَا يَفصِلُ الحدَثَ اللغوِيَّ عَنْ مَوقِفِهِ"(٥١).

وَلَعلَّ أَهَمَّ مَا نَلحَظُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ المبْدَأِ؛ أَنَّ د. **حَمَاسَةَ** نَفْسَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْزِلَ النصَّ عَنْ سِيَاقِهِ عَزْلًا تَامًّا عَلَىٰ مُستَوَىٰ التطْبِيقِ؛ وَخَيْرُ دَلِيلٍ عَلَىٰ ذَلِكَ قِرَاءَتُهُ قَصِيدَةَ سُحَيْمٍ عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ، وَذَلِكَ لِسَببَيْنِ أَوْ مَأْزِقَيْنِ أَشَارَ إِلَيْهِمَا د. **حَمَاسَةُ**:

أَوَّلُهُمَا- مَا أُثِيرَ حَوْلَ بَعْضِ شِعْرِ عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ مِنْ قِصَصٍ خَاصَّة تَشْرَحُ دَافِعَهُ وَتَشْرَحُ بَعْضَ مَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ.

وَثَانِيهِمَا - مَا تَرَدَّدَ فِي شِعْرِ سُحَيمِ عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ مِنْ إِشَارَاتٍ إِلَىٰ سَوَادِ لَوْنِهِ وَكَوْنِهِ عَبْدًا لَا يَمْلِكُ حُريَّةَ نَفْسِهِ(٥٢).

فَأَمَّا السببُ أَوِ الـمَأْزِقُ الأَوَّلُ فَقَدْ تَـخَلَّصَ مِنْهُ **د. حَـمَاسَةُ** بِقَوْلِهِ: "أَمَّا مِنْ حَيْثُ مَا نُسِجَ حَوْلَ شِعْرِ عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ فَإِنَّهُ – مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِي – لَا يُفِيدُ شَيْئًا فِي تَفْسِيرِ شِعْرِهِ سَوَاءٌ أَكَانَ صَادِقًا أَمْ مُخْتَلَقًا؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَإِنَّ الشِّعْرَ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، وَلَيْسَ مَا أُثِيرَ مِنْ حِكَايَاتٍ دَاخِلًا فِي بِنَاءِ الشِّعْرِ، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّهُ لَا يُسَاعِدُ عَلَىٰ تَفْسِيرِهِ، وَإِذَا كَانَ مُخْتَلَقًا فَهُوَ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ أَبْعَدُ عَنِ الشِّعْرِ وَعَنْ تَفْسِيرِهِ"(٥٣).

وَلَيْسَ فِي هَذَا المخْرَجِ شَيْءٌ جَدِيدٌ فَهُوَ يُوافِقُ مَا يُؤْمِنُ بِهِ **د. حَـمَاسَةُ**، لَكِنَّ مُحَاوَلَةَ النَّاقِدِ التَّخَلُّصَ مِنَ الْمَأْزِقِ الثَّانِي بِالوَسِيلَةِ ذَاتِهَا أَوْقَعَهُ فِي أَزْمَةٍ، ذَلِكَ أَنَّ إِشَارَاتِ الشَّاعِرِ إِلَىٰ مَا يَتَّصِلُ بِشَخْصِهِ أَرْبَكَ مَبْدَأَ **(عَزْلِ النصِّ وَاسْتِقْلَالِهِ)** الذِي يُؤْمِنُ بِهِ **د. حَـمَاسَةُ**؛ إِذْ يَقُولُ – عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التَّنْظِيرِ –: "وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ مَا تَرَدَّدَ فِي شِعْرِ سُحَيْمٍ عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ مِنْ إِشَارَاتٍ إِلَىٰ سَوَادِ لَوْنِهِ، وَكَوْنِهِ عَبْدًا لَا يَمْلِكُ حُرِّيَّتَهُ، وَاعْتِزَازِهِ بِشَاعِرِيَّتِهِ أَحْيَانًا، وَاعْتِدَادِهِ بِأَنَّ الشِّعْرَ قَامَ لَهُ مَقَامَ الأَصْلِ وَالْمَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَدَىٰ الاستِعَانَةِ بِمِثْلِ هَذِهِ الإِشَارَاتِ فِي تَفْسِيرِ الشِّعْرِ، فَإِنَّ الشِّعْرَ – كَمَا أَشَرْتُ آنِفًا – فَنٌّ يَتَجَاوَزُ صَاحِبَهُ نَفْسَهُ"(٥٤).

ثُمَّ تَتجَلَّىٰ الأَزْمَةُ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التطْبِيقِ؛ حِينَ حَاوَلَ النَّاقِدُ تَأْوِيلَ إِشَارَاتِ الشَّاعِرِ الصَّرِيحَةِ إِلَىٰ نَفْسِهِ؛ فَأَبْعَدَ النُّجْعَةَ، وَلَك أَنْ تَعْجَبَ حِينَ تَرَىٰ الشَّاعِرَ يَقُولُ فِي كُبْرَىٰ قَصَائِدِهِ:

أَشَارَتْ بِمدْرَاهَا وَقَالَتْ لِتِرْبِهَا: أَعَبْدَ بَنِي الحسْحَاسِ يُزْجِي

القَوَافِيَا؟

رَأَتْ قَتَبًا رَثَا وَسَحْقَ عَبَاءَةٍ وَأَسْوَدَ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ عَارِيَا
يُرَجِّلْنَ أَقْوَامًا وَيَتْرُكْنَ لِمَّتِي وَهَذَا هَوَانٌ ظَاهِرٌ قَدْ بَدا لِيَا
فَلَوْ كُنْتُ وَرْدًا لَوْنُهُ لَعَشِقْنَنِي وَلَكِنَّ رَبِّي شَانَنِي بِسَوَادِيَا
فَمَا ضَرَّنِي أَنْ كَانَتْ أُمِّي وَلِيدَةً تَصُرُّ وتَبْرِي بِاللِّقَاحِ التَّوَادِيَا

ثُمَّ تَرَىٰ النّاقِدَ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الإِشَارَاتِ الصَّرِيحَةَ، فَيَقُولُ: "فَهَذِهِ الأَبْيَاتُ صُورَةٌ خَاصَّةٌ قَدْ نَرَىٰ فِيهَا عَبْدَ بَنِي الحسْحَاسِ كَمَا نَرَىٰ غَيْرَهُ، وَقَدِ اختَارَ الشَّاعِرُ أَنْ يَجْعَلَ مِنَ اسْمِهِ جُزْءًا مِنْ بِنَاءِ هَذِهِ الصُّورَةِ، وَبِمُجَرَّدِ أَنْ دَخَلَ هَذَا الاسْمُ القَصِيدَةَ أَصْبَحَ جُزْءًا مِنْهَا هِيَ، فَالاسْمُ هُنَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ رَمْزٌ خَاصٌّ قَدْ يَنطَبِقُ عَلَىٰ عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ نَفْسِهِ، وَقَدْ لَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ، فَتِلْكَ مَسْأَلَةٌ أُخْرَىٰ تَخْضَعُ لِتَفْسِيرِ القَصِيدَةِ، وَنُقْطَةُ الانْطِلَاقِ فِي التفْسِيرِ يَجِبُ أَنْ تَبْدَأَ مِنْ عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ الرَّمْزِ، لَا عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ الشَّخْصِ"(٥٥).

وَلَيْتَ شِعْرِي، كَيْفَ يَكُونُ التصْرِيحُ بِالاسْمِ رَمْزًا؟ أَبَعْدَمَا صَرَّحَ الشَّاعِرُ بِاسْمِهِ نَقُولُ إِنَّهُ رَمَزَ لِنَفْسِهِ أَوْ لِغَيْرِهِ؟! فَمِنْ بدَهِيَّاتِ الرَّمْزِ وَأَبْجَدِيَّاتِهِ، أَنَّهُ إِيمَاءٌ أَوْ لَمْحٌ يُنَافِي التصْرِيحَ. بَلْ كَيْفَ يَكُونُ اسْمُ الشَّاعِرِ فِي القَصِيدَةِ رَمْزًا، وَقَدِ اسْتَخْدَمَ الشَّاعِرُ ضَمِيرَ الْمُتكَلِّمِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ؟! نَاهِيكَ بِأَنَّ النَّاقِدَ لَا يَقُولُ إِلَامَ يَرْمُزُ اسْمُ الشَّاعِرِ (**عَبْدُ بَنِي الحسْحَاسِ**)! كَمَا أَنَّهُ يَحمِلُنا - بِهَذَا التَّأْوِيلِ - عَلَىٰ أَنْ نَسْتَدْعِيَ النَّمَاذِجَ المشَابِهَةَ فِي

شِعْرِنَا العرَبِيِّ؛ فَقَدْ صَرَّحَ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ بِأَسْمَائِهِم فِي قَصَائِدِهِم، كَعنْتَرَةَ، وَعُمَرَ بنِ أَبِي رَبِيعةَ.. وَغَيْرِهِمَا، فَهَلْ كَانُوا بِذَلِكَ يَرْمُزُونَ إِلَىٰ أَشْخَاصٍ آخَرِينَ؟!.. وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ بَادِي التَّكَلُّفِ لِيَخْدمَ مَبْدَأً غَيْرَ مُطَّرِدٍ (**عَزْلُ النصِّ وَاسْتِقْلَالُهُ**)، كَمَا أَنَّهُ يَتنَاقَضُ مَعَ الشَّرْطِ الذِي وَضَعَهُ د. **حَمَاسَةُ** نَفْسُهُ كَيْ يَكُونَ التَّأْوِيلُ مَقْبُولًا، وَهَذَا الشَّرْطُ هُوَ قَولُهُ: "إِنَّ العَمَلَ الشِّعْرِيَّ الْجَيِّدَ بِطَبِيعَةِ الحالِ يَتَّسِعُ لِأَكْثَرَ مِنْ تَفْسِيرٍ، وَيَسْمَحُ بِرُؤًىٰ مُتعَدِّدَةٍ **بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ تَفْسِيرٍ وَلِكُلِّ رُؤيَةٍ سَنَدٌ لُغَوِيٌّ مِنْ بِنَاءِ القَصِيدَةِ نَفْسِهَا**"(٥٦).

وَثَمَّةَ مِثَالٌ آخَرُ، يَدُلُّنَا عَلَىٰ أَنَّ د. حَمَاسَةَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْزِلَ النَّصَّ عَزْلًا تَامًّا عَنْ سِيَاقِهِ، وَهُوَ أَوَّلُ ظَاهِرَةٍ استَوْقَفَتْهُ فِي شِعْرِ صَلَاحِ عَبْدِ الصَّبُورِ؛ وَهِيَ (**بِدَايَةُ بَعْضِ قَصَائِدِهِ بِالوَاوِ العَاطِفَةِ**)(٥٧)، وَقَدْ بَدَأَتْ ثَمَانِي قَصَائِدَ مِنْ أَشْعَارِ صَلَاح عَبْد الصبُورِ – وَفْقَ إِحْصَاءِ د. **حَمَاسَةَ** – بِالوَاوِ العَاطِفَةِ، وَمِنْهَا قَصَائِدُ: (شَنقُ زَهْرَانَ – أَبِي – انْتِظَارُ اللَّيْلِ وَالنَّهَار – السَّلَام)، فَأَمَّا قَصِيدَةُ (**شَنْق زَهْرَان**) فَتَبْدَأُ بِهَذَا الْمفْتَتَحِ:

... وَثَوَىٰ فِي جَبْهَةِ الأَرْضِ الضِّيَاء.

وَمَشَىٰ الْحُزْنُ إِلَىٰ الأَكْوَاخِ تِنِّينٌ لَهُ أَلْفُ ذِرَاع.

كُلُّ دَهْلِيزٍ ذِرَاع

وَيَقُولُ د. حَمَاسَةُ فِي تَأْوِيلِهِ: "إِنَّ حَرْفَ العَطْفِ فِي أَوَّلِ القَصِيدَةِ يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ المعطُوفَ عَليهِ مُضْمَرٌ فِي النَّفْسِ وَأَنَّهُ لَمْ يُقَلْ؛ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ

مَعرُوفًا مِنَ الحالِ المشَاهدَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكونَ مِمَّا لَا يُقَالَ وَلَكنَّهُ يُحَسُّ وَيُدْرَكُ. وَهَذَا السلُوكُ اللغَوِيُّ يَجْعَلُ القَصِيدَةَ استِمْرَارًا لِأَحْدَاثٍ مُتلَاحِقَةٍ مُتتابِعَةٍ بَعضُهَا مُعبَّرٌ عَنْهُ بِالقَصِيدَةِ، وَبَعْضُهَا مُضْمَرٌ لَا يُرَادُ التعبِيرُ عَنْهُ، وَكَأَنَّ القَصِيدَةَ كُلَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ إِنَّ مَا خَفِيَ كَانَ أَعْظَمَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا مَا أَمْكَنَ أَنْ يُقَالَ فَمَا البَالُ بِالّذِي لَمْ يُقَلْ. وَبِدَايَةُ كُلِّ قَصِيدَةٍ عَلَىٰ هَذَا النحْوِ تُفَسَّرُ فِي إِطَارِ القَصيدَةِ نَفسِهَا. فَفِي قَصيدَةِ (شَنْقُ زَهْرَان) يَقُومُ بَدْءُ القَصِيدَةِ بِالوَاوِ العَاطِفَةِ بِإِشَاعَةِ جَوٍّ مِنَ الكَآبَةِ وَالْحُزْنِ وَالإِحْسَاسِ بِثِقَلِ المصِيبةِ فَإِذَا كَانَتِ الأَحْدَاثُ التِي يُعطَفُ عَلَيهَا (...*وَثَـوَىٰ فِي جَبْهَةِ الأَرْضِ الضِّيَاء*) *وَهِيَ مِحْنَةٌ* تَلِيهَا مِحنَةٌ أُخْرَىٰ هِيَ (وَمَشَىٰ الْحُزْنُ إِلَىٰ الأَكْوَاخِ تِنِّينٌ لَهُ أَلْفُ ذِرَاع. كُلُّ دَهْلِيزٍ ذِرَاع) فَإِنَّ المحَنَ التِي لَمْ تُذْكَرْ كَانَتْ كُلُّهَا مِحَنًا تَتوَالَىٰ وَتَتجَمَّعُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ قَصِيرٍ بِالنسبَةِ لِهَذَا النوْعِ مِنَ المصَائِبِ التِي تَستغْرِقُ زَمَنًا طَوِيلًا عِنْدَمَا تَجْرِي عَلَىٰ وَفْقِ السنَنِ الْمَأْلُوفةِ" [٥٨].

وَجَلِيٌّ أَنَّ د. حَمَاسَةَ أَكَّدَ ضَرُورَةَ تَفسِيرِ كُلِّ قَصيدَةٍ تَبدَأُ بِالوَاوِ العَاطِفَةِ فِي إِطَارِهَا؛ وَلَا رَيْبَ أَنَّ الإِطَارَ المقصُودَ هُوَ سِيَاقُ القَصِيدَةِ، وَلَا تَظُنَّنَ أَنَّ د. حَمَاسَةَ يُرِيدُ هُنَا السيَاقَ اللغَوِيَّ أَوِ النصِّيَّ لِلقَصِيدَةِ فَحَسْبُ، فَقَدْ أَشَارَ د. حَماسَةُ نفسُهُ فِي كَلامِهِ الآنِفِ إِلَىٰ مِحَنٍ، وَمَصَائِبَ، وَأَحْدَاثٍ، أَضمَرَتِ القَصِيدَةُ بعضَهَا، وَذَكَرَتْ بَعْضَهَا، وَعَطَفَتْ مُفتتَحَهَا عَلَىٰ هَذِهِ الأحدَاثِ؛ فَلَيسَتْ تِلْكَ المحَنُ أَوِ الأحدَاثُ سِوَىٰ مُلابَسَاتِ النصِّ وَسِيَاقِهِ

الْـخَارِجِيَّ(٥٩)، وَلَا يَـخْفَىٰ عَليكَ أَنَّ قَصِيدَةَ (شَنْقُ زَهْرَان) قَـدْ قِيلَتْ فِي مُنَاسَبَـةٍ مُعينَةٍ، وَهِيَ أَحْدَاثُ دنشُوَايَ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ شَنْقِ المصْرِيينَ، وَمِنْهُم زَهْرَانُ الَّذِي ارْتَبطَتْ بِهِ القَصِيدَةُ.

وَأَمَّا قَصِيدَةُ (أَبِي) فَـقَدْ بَـدَأَهَا صَلَاحُ عَبد الصَّبورِ بِقَولِـهِ:

... وَأَتَىٰ نَـعْيُ أَبِـي هَذَا الصَّبَاح
نَـامَ فِـي الْـمَيْدَانِ مَشْجُوجَ الْـجَبِين
حَوْلَـهُ الذُّؤْبَـانُ تَعْوِي وَالـرِّيَـاحْ
وَرِفَـاقٌ قَـبَّلُوهُ خَاشِعِين.
وَبِـأَقْـدَامٍ تَـجُرُّ الأَحْذِيَـهْ
وَتَـدُقُّ الأَرْضَ فِـي وَقْـعٍ مُـنَفِّرْ
طَـرَقُـوا البَابَ عَلَـيْنَا
وَأَتَىٰ نَـعْيُ أَبِـي

أَمَّا د. حَـمَاسَةُ فَيقُولُ قُبيلَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ: "وَإِذَا أَمْكَنَ تَـفْسِيرُ وُرُودِ الوَاوِ العَاطِفَةِ فِي أَوَّلِ قَصِيدَةِ (شَنْـقُ زَهْرَانَ) عَلَىٰ هَذَا النحْوِ، فَإِنَّ وُرُودَهَا فِي أَوَّلِ قَصِيدَةِ (أَبِي) يَتَّخِذُ مَسَارًا آخَرَوَيُمكِنُ تَفسِيرُهُ عَلَىٰ نَحْوٍ يَتَنَاسَبُ وَسِيَاقَ القَصِيدَةِ الدِّلَالِـيَّ. فَالقَصِيدَةُ تَبدَأُ بِالْـحَدَثِ الفَاجِعِ الَّذِي تَـدْفَعُ بِـهِ مِنْ مَكانِـهِ فِي سِيَاقِ تَسَلْسُلِ الأَحْدَاثِ إِلَىٰ الصَّدَارَةِ، فَكَأَنَّـهُ مِنْ تَـقْدِيمِ المعطُوفِ عَلَىٰ المعطُوفِ عَليهِ، وَالذِي يَـقْـرَأُ القَصِيدَةَ يَـجِدُ أَنَّ البيتَ الأَوَّلَ يَتكَـرَّرُ فِي آخِرِ المـقْطَعِ الأَوَّلِ مِنَ القَصِيدَةِ، وَيَتكَـرَّرُ مَعَ مَا يَليهِ، فَـيَأتِيَانِ فِي وَسَطِ القَصِيدَةِ

مَرَّةً، ثُمَّ تُختَمُ بِهِمَا القَصِيدَةُ فِي نِهَايتِهَا؛ وَمِنْ هُنَا نُدْرِكُ أَنَّ تَسلْسُلَ الأَحْدَاثِ فِي القَصِيدَةِ تَسَلْسُلٌ شُعُورِيٌّ وَلَيسَ تَسلسُلًا مَنطِقيًّا زَمَنِيًّا. وَتَأْخُذُ هَذِهِ الجملةُ *المكَرَّرَةُ* (وَأَتَىٰ نَعْيُ أَبِي هَذَا الصَّبَاح) مِسَاحَةً مِنَ التركِيزِ الدِّلَالِيِّ بِسَبَبِ تَكرَارِهَا. وَالإِتْيَانِ بِهَا فِي صَدْرِ القَصِيدَةِ مَسبوقَةً بِالوَاوِ العَاطِفَةِ؛ إِذْ تَتجَمَّعُ الأَحْدَاثُ كُلُّهَا حَوْلَهُ، وَتأْتِي مِنْ مَنابعَ مُختَلِفَةٍ لِتَصُبَّ فِيهِ. إِنَّ المعطُوفَ عَليهِ هُنَا فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ لَيْسَ مُضْمَرًا، وَلَكِنَّهُ مَوْجُودٌ فِي القَصِيدَةِ، غَيْرَ أَنَّ وَقْعَ هَذَا الْحدَثِ الْمُؤْلِمِ أَرْبَكَ تَرتِيبَ الأَشْيَاءِ، فَأَتَىٰ المعطُوفُ أَوَّلًا، ثُمَّ تَوَالَتِ المعطُوفَاتُ عَلَيهَا" [٦٠].

وَلَا نَستطِيعُ أَنْ نُخفِيَ إِعْجَابَنَا بِرُؤْيَةِ د. حَماسَةَ لِأَحدَاثِ النصِّ وَتَرْتِيبِهَا تَرْتِيبًا شُعُورِيًّا لَا منطقيًّا، لَكِنَّنَا نُؤَكِّدُ مَا أَكَّدَهُ د. حَمَاسَةُ نَفْسُهُ مِنْ ضَرُورَةِ تَفْسِيرِ الظَّاهِرَةِ اللغَوِيَّةِ تَفْسِيرًا يَتنَاسَبُ مَعَ سِيَاقِهَا؛ مِمَّا يَعْنِي حَتْمِيَّةَ مُرَاعَاةِ السِّيَاقِ وَتَعَذُّرَ عَزْلِ النصِّ عَنْهُ عَزْلًا تَامًّا.

وَصَحِيحٌ أَنَّ د. حَمَاسَةَ قَدْ وَصَفَ السيَاقَ هُنَا بِكَلِمَةِ (الدِّلَالِيّ) مُوحِيًا بِأَنَّهُ يُرِيدُ السيَاقَ النصيَّ أَوِ اللغَوِيَّ، وَلَيْسَ السيَاقَ الْخَارِجِيَّ، وَنَحْنُ نُوَافِقُهُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا؛ لِأَنَّ هَذَا النصَّ يُمْكِنُ أَنْ يَكتَفِيَ بِسيَاقِهِ الدَّاخِلِيِّ وَلَا يَحتَاجُ إِلَىٰ سِيَاقِهِ الخارِجِيِّ - إِنْ كَانَ ثَمَّةَ سِيَاقٌ خَارِجِيٌّ لِهَذَا النصِّ - بِخِلَافِ النصِّ السَّابِقِ، فَلَيْسَا سَوَاءً؛ إِذِ القَصِيدَةُ الأُولَىٰ (شَنْقُ زَهْرَان) مُرْتَبِطَةٌ بِحَدَثٍ تَارِيخِيٍّ وَاقِعِيٍّ - بَلْ بِأَحْدَاثٍ كَمَا أَشَارَ د. حَمَاسَةُ نَفْسُهُ - وَمِنْ ثَمَّ يُصْبِحُ عَزْلُهَا عَنْ سِيَاقِهَا عَزْلًا تَامًّا أَمْرًا مُتعَذِّرًا، أَمَّا قَصِيدَةُ (أَبِي) فَلَيْسَ

شَرْطًا أَنْ تَكُونَ قَدْ قِيلَتْ فِي نَعْيِ وَالِدِ الشَّاعِرِ حَقًّا، وَرُبَّمَا تَأَثَّرَ الشَّاعِرُ بِتجْرِبَةِ وَفَاةِ وَالِدِهِ أَوْ وَفَاةِ وَالِدِ أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ أَوْ حَتَّىٰ وَفَاةِ أَيِّ رَجُلٍ عَرَفَهُ فَصَاغَ هَذِهِ القَصِيدَةَ عَلَىٰ لِسَانِ ابْنِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهِيَ أَقْرَبُ إِلَىٰ مَا يُسَمِّيهِ النقَّادُ (الصِّدْقَ الفَنِّيَّ) فِي مُقَابِلِ الصِّدْقِ (الوَاقِعِيِّ)؛أَيْ أَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَىٰ عُمُومِيَّةِ الدِّلَالةِ مِنْهَا إِلَىٰ خُصُوصِيَّةِ السَّبَبِ، وَبِذَلِكَ يَصْدُقُ عَليهَا مَا قَالهُ أَسْلَافُنَا: *(العِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لا بِخُصُوصِ السبَبِ)*، وَيَتَأَكَّدُ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، مِنْ أَنَّ النصُوصَ الأَدبيَّةَ لَيْسَتْ سَوَاءً فِي قَابِلِيَّتِهَا لِلعَزْلِ عَنْ سِيَاقَاتِهَا، وَمِنْ ثَمَّ يَحتَاجُ تَلقِّيهَا إِلَىٰ وَعْيٍ عَمِيقٍ، وَذَوْقٍ رَهِيفٍ يُدْرِكُ اختِلَافَاتِ النصُوصِ فِي ذَلِكَ الأَمْرِ، وَلَيسَ هُنَاكَ ضَابِطٌ نَصِّيٌّ نَستَطِيعُ أَنْ نُلْزِمَ بِهِ النقَّادَ فِي ذَلِكَ، لَكِنَّنَا نَستَطِيعُ أَنْ نَرَدَّهُمْ إِلَىٰ مَبْدَأٍ فِي التلَقِّي؛ خُلَاصَتُهُ: كُلُّ غَلْقٍ لِلنَّصِّ أَوْ عَزْلٍ لَهُ أَفْضَىٰ إِلَىٰ تَكَلُّفٍ أَوْ اعْتِسَافٍ فِي تَأْوِيلِهِ، فَعَدَمُ العَزْلِ أَوْلَىٰ.

وَالدكتُورُ حَمَاسَةُ نَفسُهُ يُؤَكِّدُ أَهَمِيَّةَ السيَاقِ وَدَوْرَهُ فِي تَفْسِيرِ الظواهِرِ اللغَوِيَّةِ فَيقُولُ: "إِنَّ استخْدَامَ الأَدَوَاتِ لا يَكُونُ عَبَثًا، فَلَا تَأْتِي أَدَاةٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهَا مُقَابِلٌ دِلَالِيٌّ تَحتَاجُ إِلَيهِ القَصِيدَةُ فِي بِنَائِهَا. وَلَيْسَتْ دِلَالَةُ كُلٍّ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي كُلِّ مَوْقِعٍ تَرِدُ فِيهِ؛ لِأَنَّ دِلَالَةَ الاستِخْدَامِ مَرْهُونَةٌ بِسِيَاقِ الوُرُودِ الَّذِي يَكتَنِفُهَا، فَالظَّاهِرَةُ تَكُونُ وَاحِدَةً وَلَكِنَّ دِلَالَتَهَا لَا تَكُونُ وَاحِدَةً أَبَدًا فِي كُلِّ سِيَاقٍ. وَعَلَىٰ هَذَا يَتَجَدَّدُ الاستِعْمَال اللغَوِيُّ بِتَجَدُّدِ أَنْوَاعِ السيَاقِ، وَيتَحَدَّدُ بِهَا كَذَلِكَ. وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ استِعْمَالٍ، إِنَّ دِلَالَتَهُ مَرْهونَةٌ بِسيَاقِهِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْطِي اللغةَ حَرَكتَهَا وَحَيويَّتَهَا وَتَجَدُّدَهَا المستَمِرَّ

الدَّائِبَ. وَلِذَلِكَ لَا يُمكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ بَدْءَ القَصِيدَةِ بِحَرْفِ العَطْفِ (الوَاو) يُنتِجُ الدِّلَالَةَ نَفْسَهَا فِي كُلِّ قَصِيدَةٍ تَصْطَنِعُ هَذِهِ الوَسِيلَةَ"[٦١].

تُرَىٰ أَلَا يَحِقُّ لَنَا بَعدَ كُلِّ مَا سَلَفَ أَنْ نَتَرَيَّثَ فِي تَبَنِّي مَبْدَأِ (اسْتِقْلَالِ النَّصِّ أَوْ عَزْلِهِ) تَبَنِّيًا مُطْلَقًا، وأَنْ نَعُدَّ الظَّاهِرَةَ الْجَمالِيَّةَ كَمَا عَدَّهَا مُحمَّدُ بَدَوِي مُسْتوًىٰ مِنْ مُستوَيَاتِ البِنيَةِ الإِيديُولُوجيَّةِ التِي هِيَ وَاحِدَةٌ مِنَ البِنَىٰ الاجتِماعِيَّةِ؛ مِمَّا يَعنِي - وَالكَلَامُ لَهُ - أَنَّ المحَاوَلَاتِ الشكليَّةَ المتعَدِّدَةِ مُنذُ عَهدٍ بَعيدٍ التِي تَرْمِي إِلَىٰ عَزْلِ النصِّ عَنْ سِيَاقِهِ وَأُطُرِهِ المرْجِعيَّةِ، قَائِمَةٌ عَلَىٰ وَهْمٍ غَيْرِ عِلمِيٍّ لأَنَّ هَذَا الوَهْمَ يَنهَضُ عَلَىٰ تَجْزِيءِ الكُلِيَّةِ النصيَّةِ، ثُمَّ يَفْشَلُ فِي تَفْسِيرِ المعْطَيَاتِ العَينيَّةِ الْخَاصَّةِ بِالنصِّ الأَدَبِيِّ[٦٢].

وَخَامِسُهَا- العَلَاقَاتُ الرَّأْسِيَّةُ وَالأُفُقِيَّةُ

إِذَا كَانَ د. حَمَاسَةُ قَدْ تَأَثَّرَ فِي المبدَأَيْنِ السَّالِفَيْنِ بِأُستَاذِهِ الدكتُورِ **الرَّبيعِيِّ**، وَمَدرَسَةِ النقْدِ الجديدِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ تَأَثَّرَ فِي مَفهُومَي (**العَلاقَاتُ الرَّأْسِيَّةُ وَالأُفُقِيَّةُ**) بِمَا كَتبَهُ البِنَويُّونَ، أَوْ مَنْ تَابَعَهم مِنَ النقَّادِ العَرَبِ؛ وَإِنْ كَانَ البِنَويُّونَ يَنقَسِمُونَ وَلَا يَتفِقُونَ حَوْلَ هَذَيْنِ المحْوَرَيْنِ الأُفُقِيِّ وَالرَّأْسِيِّ أَوِ العَامُودِيِّ[٦٣]؛ فَقَدْ نَادَتْ مَجمُوعَةٌ مِنَ البِنوِيِّينَ - وَهُمْ أَتْبَاعُ مَدرَسَةِ سُوسِيرَ مِمَّنْ يُمثلُونَ التيَّارَ الرَّئِيسَ لِلبُنوِيَّةِ الأَدبيةِ - بِالتفْسِيرِ الآنِيِّ (الاستِبْدَالِيِّ أَوِ الرَّأْسِيِّ) بِوَصْفِهِ مِحْوَرًا وَحِيدًا لِتحْقِيقِ الدِّلَالَةِ، وَاسْتِبْعَادِ المحوَرِ التعَاقُبِيِّ خَاصَّةً إِذَا ارتَبَطَ بِالزَّمَنِ أَوِ التَّارِيخِ. أَمَّا البُنوِيُّونَ الْمَارْكِسِيُّونَ الذِينَ تَأَثَّرُوا بِفَلْسَفَةِ هِيجِلَ، فَقَدْ رَأَوْا أَنَّ الْجَانِبَ الاقتِصَادِيَّ

وَالصِّرَاعَ الطَّبَقِيَّ لَا يَتوَقَّفُ تَأْثِيرُهُمَا عَلَىٰ الثقَافَةِ بِجَمِيعِ عَنَاصِرِهَا وَمِنْهَا اللغَةُ؛ وَمِنْ ثَمَّ جعَلُوا الأَوْلَوِيَّةَ لِلمِحْوَرِ التعَاقُبيِّ (الأُفُقِيِّ)؛ حَيْثُ لَا يُمكِنُ استبْعَادُ التارِيخِ كَقُوَّةٍ مُؤثِّرَةٍ فِي تَحدِيدِ الدِّلَالَةِ[٦٤].

وَقَدْ جَمَعَ **جاكبْسُون** بَينَ المحْوَرَيْنِ حِينَ حَاوَلَ أَنْ يَضَعَ قَانُونًا عَامًّا لِلغَةِ الشِّعْرِيَّةِ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ اللغَةَ تَتمَيَّزُ **"بِسُقُوطِ المحْوَرِ الرَّأْسِيِّ عَلَىٰ المحْوَرِ الأُفُقِيِّ"**، وَقَدْ حَملَتْ تِلْكَ الجمْلَةُ الدكتُورَ **شُكرِي عَيَّاد** عَلَىٰ السُّخْرِيَةِ مِنْهَا، فَقَالَ عَنْهَا: "وَهِيَ عِبارَةٌ لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهَا مَرْجِعٌ مِنَ المرَاجِعِ التِي تَتحَدَّثُ عَنِ البِنيويَّةِ، وَالْحَقُّ أَنَّهَا عِبَارَةٌ هَائِلَةٌ، وَلْيَسمَحْ لِيَ القَارِئُ بِأَنْ أَتَجاوَزَ قَلِيلًا صَرَامَةَ هَذَا البَحْثِ لِأَقُولَ إِنَّنِي بَقِيتُ زَمَنًا لَا أَقْرَأُ هَذِهِ العِبَارَةَ إِلَّا تَخَيَّلْتُ كَارَثَةً تُوشِكُ أَنْ تَقَعَ، وَكَأَنَّهَا – عَلَىٰ مَذْهَبِ تَدَاعِي المعَانِي أَوْ عَلَىٰ مَذْهَبِ الشَّبَكَاتِ المفتُوحَةِ – تُذَكِّرُنِي بِسُقُوطِ المنَازِلِ. (وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ شُفِيتُ مِنَ الرُّعْبِ الآنَ). مَعَ أَنَّهَا لَا جَدِيدَ فِيهَا عَلَىٰ الإِطْلَاقِ إِلَّا البَرَاعَةُ فِي حَبْكِ العِبَارَةِ وَوَصْلِهَا بِفِكْرَةِ **سُوسِيرَ** عَنِ المحْوَرِ الأُفقِيِّ والمحْوَرِ الرَّأْسِيِّ ... فَسُقُوطُ المحْوَرِ الرَّأْسِيِّ عَلَىٰ المحوَرِ الأُفقِيِّ مَعنَاهُ أَنْ تُصبِحَ العَلَاقَةُ فِي النصِّ المقْرُوءِ (لأَنَّنَا – بِطَبِيعَةِ الْحَالِ – نَقْرَؤُهُ بِطَرِيقَةٍ أُفقِيَّةٍ) عَلاقَةَ تَشَابُهٍ وَتَضَادٍّ بِجَانِبِ كَوْنِهَا عَلاقَةَ تَجاوُرٍ. فَهَذَا القَانُونُ الْهَائِلُ لَمْ يَزِدْ عَلَىٰ أَنْ كَرَّرَ شَيْئًا مَعْرُوفًا وَمُفصَّلًا عِنْدَ البَلَاغِيينَ وَالنقَّادِ. وَهَلِ الجِنَاسُ وَالطِّبَاقُ والمقَابَلَةُ وَمُراعَاةُ النظِيرِ وَالتكْرَارُ وَرَدُّ العَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ... إلخ. إِلَّا أَمْثِلَةٌ قَلِيلَةٌ لِمَا أَوْرَدَهُ البَلاغِيُّونَ العَرَبُ مِنْ

صِوَرِ التشَابُهِ وَالتضَادِّ فِي العِبَارَةِ. فَإِنْ كَانَ **جَاكبْسُون** فَضَّلَ إِدْخَالَ هَذِهِ الصُّورَةِ تَحْتَ قَانُونٍ عَامٍّ فَإِنَّ اعتِبَارَ هَذَا القَانُونِ مُمَيِّزًا لِلغَةِ الشعْرِيَّةِ يَبْدُو غَيْرَ مَقبُولٍ، وَإِلَّا لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ القَاضِي الفَاضِلُ أَشْعَرَ مِنْ شِكسبيرَ"[٦٥].

نَاهِيكَ بِأَنَّ التسْمِيَّاتِ اللغَوِيَّةَ لِلمِحْوَرِيْنِ تَتعَدَّدُ فِي الإِنجليزِيَّةِ، وَتَتعَدَّدُ أَكْثَرَ فِي العرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُما مُصطلَحَانِ مَنقُولَانِ، وَذَلِكَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ أَزْمةِ المصطَلحِ النقْدِيِّ المتَرْجَمِ؛ فَالمحْوَرُ الرَّأْسِيُّ أَوِ العَامُودِيُّ يُسَمَّىٰ فِي الإِنجليزِيَّةِ: Vetical synchronic and paradigmatic، أَمَّا المحْوَرُ الأُفُقِيُّ فَيُسَمَّىٰ: Linear horizontal diachronic and syntagmatic، وَبَيْنَما يُتَرْجَمُ المحْوَرُ الأَوَّلُ (الرَّأْسِيُّ) فِي العَرَبِيَّةِ إِلَىٰ مُصْطَلَحَاتٍ مِثْلِ: الرَّأسِيِّ، العَامُودِيِّ، التبَادُلِيِّ، الاسْتِبْدَالِيِّ، الْجَدْوَلِيِّ، الآنِيِّ، التَّزَامُنِيِّ، التَّرَابُطِيِّ، الْمُتَّسقِيِّ؛ يُتَرْجَمُ المحْوَرُ الثَّانِي (الأُفُقِيّ) إِلَىٰ: الأُفُقِيِّ، التتَّابُعِيِّ، التَّرَاصُفِيِّ، التَّعَاقُبِيِّ، الزَّمَانِيِّ، النَّسَقِيِّ[٦٦].

كَمَا أَشَارَ **د. عبدُ العَزِيزِ حَمُّودَةَ** كَذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّ هَذيْنِ المحوَرَيْنِ مَوجُودَانِ فِي تُراثِنَا النقْدِيِّ وَالبلَاغِيِّ، وَإِنِ لَمْ يَسْتَخْدِمْ أَجْدَادُنَا هَذِهِ المصطَلَحَاتِ، وَإِنَّمَا استَخْدَمُوا مُصطلَحَاتٍ أُخْرَىٰ، مِثْلَ: الجِوَارِ وَالضَّمِّ وَالتأْلِيفِ وَالنَّظْمِ وَالاخْتِيَارِ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا جَدِيدَ فِيمَا قَالَهُ البِنَوِيُّونَ حَوْلَ هَذِهِ العَلاقَاتِ، وَذَلِكَ مَا فَاتَ **د. حَماسَةَ** أَنْ يُشِيرَ إِلَيْهِ رُغْمَ إِلْمَامِهِ بِمَا قَالَ أَجْدَادُنَا[٦٧].

هَذَا، وَقَدْ تَحدَّثَ د. **حَمَاسَةُ** عَنِ العَلاقَاتِ الرَّأسيَّةِ وَالأُفقِيَّةِ فِي مَوَاضِعَ مُتعَدِّدَةٍ مِنْ كُتُبِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ أَوَّلُهَا مَا قَالهُ فِي كِتَابِهِ (**النحْوُ والدِّلَالَةُ**)؛ لَكِنَّهُ لَا يُسمِّيهِمَا العَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةَ وَالأُفقيَّةَ، وَإِنَّما يُسمِّي العَلاقَاتِ الأُفقيَّةَ (البنيةَ الأَسَاسيةَ لِلجُملةِ)، وَيُسَمِّي العَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةَ (اختِيَارَ الكَلِمَة)، وَمِنْ هَذَيْنِ الْجَانِبيْنِ مَعًا يَتكَوَّنُ العنصُرُ الدِّلَالِيُّ، فَأَمَّا الجَانِبُ الأَوَّلُ فَيقُولُ د. **حَمَاسَةُ**: "وَفِي نَحْوِ اللغَةِ العَربيَّةِ – شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ نَحْوِ أَيَّةِ لُغَةٍ – يَزْدَوِجُ مُكوِّنُ العُنصُرِ الدِّلَالِيِّ. فَهُناكَ جَانِبٌ يَقُومُ عَلَىٰ اعتِبَارِ العَلاقَاتِ القَائِمَةِ بَينَ الوَظَائِفِ النَّحْوِيَّةِ، أَوْ عَنَاصِرِ النمُوذَجِ الفِكْرِيِّ للجُمْلَةِ، وَأَعْنِي بِهِ مَا سَميتُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ البنْيَةَ الأَسَاسِيةَ لِلجُملةِ، وَهِيَ الصورَةُ التجْرِيدِيَّةُ لِتَركيبِ الجمْلةِ (الفِعْلُ + الفَاعِل) وَ(المبتَدَأ+ الخبَر) مَثَلًا. وَهَذَا النمُوذَجُ التجْرِيدِيُّ قَدْ يَلْتَقِي فِي مَفهُومِهِ مَعَ بَعْضِ مَا يَعنِيهِ التحْوِيليُّونِ بِالمصْطَلَحِ Structure Deep غَيْرَ أَنَّنِي هُنَا أَكْثَرُ التِصَاقًا وَارْتِبَاطًا بِاللغَةِ العَربيَّةِ الفُصْحَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الخصُوصِ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ وُكْدِي هُنَا وَلَا غَايَتِي أَنْ أُقِيمَ بِنَاءً نَحْوِيًّا دِلَالِيًّا لِلغَاتِ المختَلِفةِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ Grammar Universal وَهُوَ مِنْ أَهْدَافِ التحْوِيليينَ"[٦٨]، وَيَقُولُ عَنِ الجانِبِ الثانِي: "وَأَمَّا الجانِبُ الثانِي الَّذِي يَزْدَوِجُ مَعَ السابِقِ فِي إِمْدَادِ الدِّلَالَةِ فهوَ اختِيَارُ الكَلِمَةِ المنطُوقَةِ التِي تَشْغَلُ وَظِيفَةً أُخْرَىٰ فِي الجملةِ الوَاحِدَةِ. وَبِذَلِكَ يَكُونُ التفْسِيرُ الدِّلَالِيُّ النحْوِيُّ مُركَّبًا مِنَ (المعنَىٰ الأَسَاسِيِّ) وَهُوَ مَعْنَىٰ العَلَاقَاتِ بَينَ الوَظَائِفِ

النحْوِيَّةِ بِشُرُوطِهَا، وَمِنَ اختِيَارِ المفرَدَاتِ التِي تَشْغَلُ هَذِهِ الوَظَائِفَ مَعًا. وَهُنَاكَ قَوَانِينُ تُنظِّمُ هَذَا الاختِيَارَ، وَيَكُونُ كُلُّ مُتكَلِّمٍ مُزَوَّدًا بِهَا، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَارِفًا لِهَذِهِ القَوَاعِدِ التِي تُسَاعِدُ عَلَىٰ الاختِيَارِ فَإِنَّهُ لَا تَكُونُ لَدَيْهِ الكِفَايَةُ اللغَوِيَّةُ أَوِ السَّلِيقَةُ اللغَوِيَّةُ أَوِ القُدْرَةُ اللغَوِيَّةُ التِي تُسَاعِدُ عَلَىٰ تَرْكِيبِ جُمْلَةٍ تَرْكِيبًا صَحِيحًا مُفِيدًا"[٦٩].

وَلَا رَيْبَ أَنَّ حَدِيثَ النحَاةِ كُلَّهِ دَائِرٌ عَلَىٰ العَلَاقَةِ بَينَ هَذيْنِ الْجَانِبيْنِ، وَمِنْ ثَمَّ وَجَدْنَا د. **حَمَاسَةَ** يَعُودُ إِلَىٰ الحدِيثِ عَنْ هَذَيْنِ الجانِبَيْنِ فِي الكِتَابِ ذَاتِهِ فِي مَوَاضِعَ تَالِيَةٍ، فَعُنوَانُ المبحَثِ الثَّانِي (التفَاعُلُ بَينَ الوَظَائِفِ النحْوِيَّةِ وَالمفْرَدَاتِ)[٧٠]، وَتَحْتَ هَذَا العنوَانِ تَفْصِيلَاتٌ تَتَّصِلُ بِهَذَيْنِ الجَانِبيْنِ اتِّصَالًا وَثِيقًا. بَلْ إِنَّ د. **حَمَاسَةَ** يَرْبِطُ بَينَ حَدِيثِ التحْوِيلِيِّينَ عَنْ (قُيُودِ الاخْتِيَارِ) وَإِشَارَةِ **ابْنِ جِنِّي** إِلَىٰ بَعْضِ هَذِهِ القيُودِ[٧١]، مِمَّا يَعنِي أَسْبَقِيَّةَ **ابْنِ جِنِّي** لِلتحْوِيلِيِّينَ.

وَمَنْ يُتَابِعْ كِتَابَاتِ د. **حَمَاسَةَ** يَرَ تَطَورًا فِي تَناوُلِهِ **مَفهُومَي العَلَاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ وَالأُفقِيَّةِ**، حَيْثُ يُشِيرُ فِي كِتَابِهِ (النحْو وَالدِّلَالَةُ) إِلَىٰ **مَفهُومَي الاختِيَارِ وَالتأْلِيفِ**، وَيَربِطُهُما بِتُرَاثِنَا البلَاغِيِّ وَالنحْوِيِّ، فَقَدْ تَعَاملَ عَبدُ القَاهِرِ الجرجَانِيِّ كَمَا كَانَ يَتعَامَلُ سِيبوَيْهِ مَعَ الكَلِمَةِ (المخْتَارَةِ)[٧٢]. حَيْثُ يَمتَلِكُ أَبنَاءُ اللغَةِ مَخْزُونًا مِنَ الكَلِمَاتِ يَختَارُونَ مِنْهَا مَا يَروْنَهُ يُعبِّرُ عَنْ رِسَالَتِهِم التِي يُرِيدُونَ إِبْلَاغَهَا لِلْمُستَمِعِ، وَلَكِنَّهُم مُتفَاوِتُونَ فِي هَذَا الاختِيَارِ، عَلَىٰ نَحْوِ مَا يَقُولُ **عَبدُ القَاهِرِ الجرجَانِيُّ**: "وَإِنَّما سَبِيلُ هَذِهِ

المعَانِي سَبِيلُ الأَصْبَاغِ التِي تُعْمَلُ مِنْهَا الصوَرُ والنقُوشُ، فكَما أَنَّكَ تَرَىٰ الرجُلَ قَدْ تَهَدَّىٰ فِي الأَصْبَاغِ التِي مِنْهَا الصورَةُ وَالنقْشُ فِي ثَوْبِهِ الَّذِي نَسَجَ إِلَىٰ ضَرْب مِنَ التخَيُّرِ وَالتدَبُّرِ فِي أَنْفسِ الأَصْبَاغِ وَفِي مَوَاقِعِهَا وَمَقَادِيرِهَا وَكَيفيةِ مَزْجِهِ لَهَا وَتَرْتِيبِهِ إِيَّاهَا إِلَىٰ مَا لَمْ يَتَهَدَّ إِلَيْهِ صَاحِبُهُ فَجَاءَ نَقْشُهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَعْجَبَ وُصُورَتُهُ أَغْرَبَ. كَذَلِكَ حَالُ الشَّاعِرِ وَالشَّاعِرِ فِي تَوخِّيهِمَا مَعَانِيَ النحْوِ وَوُجُوهَهُ التِي عَلِمْتَ أَنَّهَا مَحْصُولُ النظْمِ"[٧٣].

ثُمَّ يَقُولُ د. **حَمَاسَةُ**: "وَهَذَا الاختِيَارُ عَبَّرَ عَنْهُ بَعضُهُمْ بِالتأْلِيفِ بَينَ مُرَاعَاةِ مَا يَقتضِيهِ عِلْمُ النحْوِ: أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ، وَمَا يَقْتضِيهِ اللفْظُ مِنَ الحقِيقَةِ والمجَازِ – وَهَذَا لَا يَتَأَتَّىٰ إِلَّا مِنْ خِلَالِ العلَاقَاتِ النحْوِيَّةِ وَوُقُوعِهَا عَلَىٰ الْمُفْرَدَاتِ المعينَةِ – وَقَالُوا إِنَّهُ "يَجِبُ مُرَاعَاةُ أَحْوَالِ التأْلِيفِ بَينَ الأَلْفَاظِ المفْرَدَةِ وَالْجُمَلِ المرَكَّبَةِ حَتَّىٰ تَكُونَ أَجْزَاءُ الكَلَامِ مُتلائِمَةً آخِذًا بَعضُهَا بِأَعنَاقِ بَعضٍ، وَعِندَ ذَلِكَ يَقْوَىٰ الارتِبَاطُ، وَيَصْفُو جَوهَرُ نِظَامِ التَّأليفِ وَيَصِيرُ حَالُهُ بِمنْزِلَةِ البِنَاءِ المحْكَمِ المرْصُوصِ المتَلَائِمِ الأَجْزَاءِ"[٧٤]، وَبِهَذَا يَلتَقِي التأْلِيفُ عِندَ **العَلَوِيِّ** بِالنظْمِ عِنْدَ **عَبْدِ القَاهِرِ**، والمقصُودُ مِنهُما مَعًا (المعنَىٰ النحْوِيُّ الدِّلَالِيُّ) الَّذِي أَشَارَ إليهِ **سِيبوَيْهِ** مُجْمَلًا غَيْرَ مُفَصَّلٍ[٧٥].

تَدُلُّنَا كِتَابَاتُ د. **حَمَاسَةَ** – إِذَنْ – عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ وَاعِيًا بِوُجُودِ **مَفهُومَي الاخْتِيَارِ وَالتَّأْلِيفِ** فِي تُرَاثِنَا اللغَوِيِّ، قَبْلَ أَنْ تَهتَدِيَ إِلَيْهِ الأَلْسُنِيَّةُ المعَاصِرَةُ؛ تُنبِيكَ بِذَلِكَ إِشَارَاتُهُ إِلَىٰ تَعامُلِ عَبْدِ القَاهِرِ الجرْجَانِيِّ وَسِيبوَيْهِ

مَعَ الكَلِمَةِ (المختَارَةِ)، وَجَدَاوِلِ المفْرَدَاتِ وَجَدَاوِلِ العَلاقَاتِ النحْوِيَّةِ، وَاخْتِيَارِ أَبْنَاءِ اللغَةِ المتكلِمِينَ مِنهُمَا، ثُمَّ إِشَارَتُهُ إِلَىٰ تَسَاوِي مُصْطَلَحَي النظْمِ عِندَ الجرجَانِيِّ، وَالتأْلِيفِ عِندَ العَلَوِيِّ، وَأَنَّ المقصُودَ مِنْهُمَا مَعًا (المعنَىٰ النحْوِيُّ الدِّلَالِيُّ) الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ سِيبَوَيْهِ مُجْمَلًا غَيْرَ مُفَصَّلٍ[٧٦].

ثُمَّ يُشِيرُ د. **حَماسَةُ** مَرَّةً أُخْرَىٰ إِلَىٰ أَنَّ الاختِيَارَ بَينَ جَدَاوِلِ المفرَدَاتِ، أَوْ مَجمُوعَاتِهَا المصنَّفَةِ فِي العقْلِ الإِنْسَانِيِّ تَصْنِيفًا دِلَاليًّا مُعَيَّنًا، وَجَدَاوِلِ النظَامِ النحْوِيِّ أَوْ مَجْمُوعَاتِهِ بِتَنوُّعِهَا المحْدُودِ المحْصُورِ هُوَ الَّذِي يُنتِجُ جُمَلًا صَحِيحَةً نَحْوِيَّةً وَدِلَالِيَّةً[٧٧]. ثُمَّ يَنْقِلُ عَنْ **بلاكمُور** نَصًّا يَكْشِفُ أَنَّ الفُنُونَ القَولِيَّةَ بِعَامَّةٍ تَتضَمَّنُ أَمْرَيْنِ مُهِمَّيْنِ: **الأَوَّل - الكَلِمَات**، وَهِيَ الْمُفْرَدَاتُ اللُّغوِيَّةُ بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ دِلَالَاتٍ أَوَّلِيَّةٍ عَنْ طَرِيقِ استِعْمَالِهَا. **الثّانِي - طُرُقُ تَرْتِيبِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ وَتَوَاشُجِهَا**، وَهَذَا يَعْنِي هَيْئَتَهَا التَّرْكِيبِيَّةَ[٧٨].

وَقَدْ كُنَّا نَنتَظِرُ مِنْ د. **حَمَاسَة** أَنْ يُشِيرَ - بَعْدَ هَاتِيكَ الإِشَارَاتِ - إِلَىٰ أَسْبَقِيَّةِ تُرَاثِنَا اللغَوِيِّ إِلَىٰ مَفْهُومَي **العَلَاقَاتِ الأُفُقِيَّةِ وَالرَّأْسِيَّةِ**، غَيْرَ أَنَّ أَسْلَافَنَا استَخْدَمُوا لَهُمَا مُصطَلَحَاتٍ أُخْرَىٰ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا جَدِيدَ فِي هَذَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ سِوَىٰ الاصْطِلَاحِ فَحَسْبُ، لَكِنَّ د. **حَمَاسَةَ** لَمْ يَفْعَلْ[٧٩]، وَإِنَّمَا عَدَلَ فِي مَرْحَلةٍ تَالِيَةٍ **عَنْ مَفْهُومَي الاختِيَارِ وَالتأْلِيفِ**، وَاستَبْدَلَ بِهِمَا مَفهُومَي العَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ وَالأُفُقِيَّةِ، دُونَمَا إِشَارَةٍ إِلَىٰ تَسَاوِيهِمَا، وَلَسْنَا نَقُولُ ذَلِكَ حرِيصِينَ علَىٰ إِثْبَاتِ أَسبَقِيَّةِ تُرَاثِنَا العَرَبِيِّ، أَوْ مُتعَصِّبِينَ لَهُ،

وَلَكِنَّنَا نَتعجَّبُ مِنْ صَنِيعِ د. **حَمَاسَةَ** لِأَنَّهُ لَمْ يُغفِلِ الإِشَارَةَ إِلَىٰ أَسْبقِيَّةِ تُرَاثِنَا فَحَسْبُ؛ وَلَكِنَّهُ فَهِمَ مُصطَلَحَي **العَلاقَاتِ الرَّأْسِيّةِ وَالأُفُقِيَّةِ** فَهْمًا غَالِطًا، أَوْ فَهْمًا خَاصًّا إِذَا أَحْسَنَّا الظَّنَّ. غَيْرَ أَنَّ د. **حَمَاسَةَ** لَمْ يُشِرْ إِلَىٰ مَفْهُومِهِ الْخَاصِّ لِدِلَالَةِ هَذَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ.

وَقَدْ أَشَارَ د. **حَماسَةُ** إِلَىٰ مَفهومِ (الاختِيَارِ) مَرةً أُخْرَىٰ فِي كِتَابِهِ (الإبدَاعُ الْمُوَازِي)، خِلَالَ تَقْوِيمِهِ المنهَجَ الأُسلُوبِيَّ بِاتجاهَاتِهِ المختَلِفَةِ؛ إِذْ جَمَعَ بَينَ اتِّجَاهَيْنِ مِنْهَا وُجِّهَ إِلَيهِمَا اعْتِرَاضٌ أَسَاسِيٌّ: اتِّجَاهٌ يَنظُرُ إِلَىٰ الأُسْلُوبِ عَلَىٰ أَنهُ انْحِرَافٌ، وَاتِّجَاهٌ يُعَرِّفُ الأُسلُوبَ بِأَنهُ اختِيَارٌ أَوِ انتِقَاءٌ، وَلَيسَ كُلُّ انْحِرَافٍ أُسْلُوبًا، وَلَيْسَ كُلُّ انتِقَاءٍ أَوِ اخْتِيَارٍ أُسْلُوبًا كَذَلِكَ(٨٠).

وَأَمَّا عُدُولُ د. **حَمَاسَةَ** عَنْ مَفهُومَي **(الاخْتِيَارِ وَالتأْلِيفِ)** إِلَىٰ مَفهُومَي **(العَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ وَالأُفقِيَّةِ)**، فَقَدْ ظَهَرَ فِي مَوْضِعٍ تَالٍ مِنَ الكِتَابِ ذَاتِهِ (الإبْدَاعُ الْمُوَازِي) خِلَالَ تَطبِيقِ مَنهجِهِ عَلَىٰ قَصِيدَةِ (صَلَاة) لِلشَّاعِرِ **أَمَل دُنْقُل**، فَكَانَ مِما قَالهُ: "إِذَا عُدْنَا لِلعَلاقَاتِ فِي القَصِيدَةِ وَجَدْنَا أَنَّهَا نَوعَانِ، الأَولُ هُوَ العلاقَاتُ بينَ أَجزَاءِ الجملةِ – وَهُوَ مَا أُسَمِّيهِ (العَلاقَاتِ الأُفُقِيَّةَ)، وَالآخَرُ هُوَ العَلاقَاتُ بَينَ الجمَلِ بَعضِهَا وَبَعضٍ وَهَذَا النوْعُ هُوَ مَا أُسَمِّيهِ (العَلاقَاتِ الرأسيَّةَ). وَكِلَا النوْعَيْنِ لَهُ وَظِيفَتُهُ الخاصَّةُ فِي بِنيَةِ النصِّ، فَالعَلاقَاتُ الأُفقيَّةُ تُشكِّلُ عَصَبًا مُهِمًّا فِي بِنيَةِ القَصِيدَةِ، وَهُوَ المجَازُ بِأنوَاعِهِ المختَلِفَة، وَالشِّعْرُ يَعتمِدُ عَلَىٰ مَبدَأَيْنِ رَئِيسَيْنِ نَاظِمَيْنِ لَهُ هُمَا الوَزْنُ وَالمجَازُ، وَهَذِهِ العَلَاقةُ الأُفُقيَّةُ هِيَ عَلاقَاتُ الإِسْنَادِ وَمُتعَلِّقَاتِهِ مِنَ النعْتِ

وَالتعلُّقِ والمفعُولِيةِ وَالحاليةِ وَالتكْمِلَةِ بِالإِضَافَةِ أَوْ بِالصلةِ أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ عَلَىٰ نَحْوِ مَا هُوَ مُفصَّلٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.. وَأَمَّا العَلَاقَاتُ الرَّأْسِيَّةُ وَهِيَ تَرَابُطُ الجمَلِ بَعضِهَا بِبَعْضٍ وَتَجَاوُرُهَا فِي بِنيَةِ النصِّ الوَاحِدِ فَإِنَّهَا تَكُونُ مَسئُولةً عَنْ تَكْوِينِ سِيَاقٍ نَصِّيٍّ مُعيَّنٍ يُسَاعِدُ عَلَىٰ تَفْسِيرِ التَّرَاكِيبِ دَاخِلَ النصِّ، وَكُلُّ جُمْلةٍ فِي النصِّ لَا يُمكِنُ فَهْمُهَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ تَرَابطِهَا بِأَخَوَاتِهَا فِي النصِّ"[٨١].. وَيَتكَرَّرُ كَلَامُ د. **حَماسَةَ** عَنِ العَلاقَاتِ الأُفُقيَّةِ وَالرَّأْسِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَىٰ فِي كِتَابِهِ (اللغَةُ وَبِنَاءُ الشِّعْرِ)[٨٢].

وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَفهُومَ د. **حَماسَةَ** للعَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ لَا يَخْرُجُ عَنْ مَفْهُومِ العَلاقَاتِ الأُفُقِيَّةِ، وَكُلُّ مَا هُنَالِكَ أَنَّهُ امْتَدَّ بِمَفْهُومِ التَّرَابُطِ مِنْ إِطَارِ الجمْلةِ الوَاحِدَةِ إِلَىٰ إِطَارِ النصِّ كُلِّهِ، وَمَا هَكَذَا أَرَادَهُ دُوسُوسِير أَوِ البِنَويُّونَ، وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَعرِفَ مُرَادَ سُوسِير بِالعَلاقَاتِ الرأْسِيَّةِ؛ فَإِنَّ د. شُكْرِي عَيَّاد قَدْ بَيَّنَ تَفرِيقَ سُوسِير بَينَ هَذيْنِ النوْعَينِ مِنَ العَلاقَاتِ، فَقَالَ: "فَعِنْدَ **سُوسِيرَ** أَنَّ هُنَاكَ طَرِيقَتيْنِ - مُتكَامِلتَيْنِ غَيرَ مُتعَارِضَتيْنِ - لِلتحْلِيلِ اللغَوِيِّ: **إِحْدَاهُمَا أُفُقِيَّةٌ** غَايتُهَا مَعرِفَةُ ارْتِبَاطِ بَعضِ الكَلِمَاتِ بِبَعْضٍ، **وَالأُخْرَىٰ رَأْسِيَّةٌ** وَغَايتُهَا مَعْرِفَةُ عَلَاقَةِ الكَلِمَةِ المذكُورَةِ فِي النصِّ بِالكَلِمَاتِ التِي مِنْ وَادِيهَا (وَالتِي لَمْ تُذْكَرْ فِي النَّصِّ) إِمَّا لأَنَّ الاشتِقَاقَ يَرْبِطُ بَينَهَا وَإِمَّا لِتَقَارُبٍ فِي المعنَىٰ عَنْ طَرِيقِ التَّرَادُفِ أَوْ الاقتِضَاءِ أَوِ العُمُومِ أَوِ الخصُوصِ أَوْ نَحْوِهَا"[٨٣].

وَلِئِنْ صَحَّ مَفهومُ د. **حَماسَةَ** لِلعَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ، فَلقَدْ أَهْمَلَ بِذَلِكَ مُستَوَىٰ (الاختِيَارِ: اختِيَارِ الكَلِمَةِ) الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ مِنْ قَبْلُ حِينَ نَقَلَ عَنْ **بلاكمُور** نَصًّا يُفِيدُ أَنَّ الفُنُونَ القَولِيَّةَ تَقُومُ عَلَىٰ دِعَامَتَي (الاخْتِيَارِ وَالتَّأْلِيفِ)(٨٤)، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ مَفهُومَ د. **حَمَاسَةَ** لِلعَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ يُفْقِدُ النصَّ إِحْدَىٰ دِعَامَتَيْهِ؛ لِأَنَّهُ بِهَذَا التعْرِيفِ يَكُونُ قَدْ تَنَاوَلَ نَوْعًا وَاحِدًا مِنَ العَلاقَاتِ (العَلاقَاتِ الأُفقِيَّةِ)، وَجَعَلَ الاخْتِلَافَ بَينَ المفْهومَينِ فِي الدرَجَةِ لَا النوْعِ، وَقَدْ كَانَ يَسَعُهُ أَنْ يَجْعَلَ العَلاقَاتِ الأُفقِيَّةَ ذَاتَ مُستَوَيينِ: مُستَوَىٰ الجمْلةِ، وَمُستَوَىٰ النصِّ، وَلَا دَاعِيَ لاتِّخَاذِ مَفْهُومَيْنِ لِظَاهِرَةٍ وَاحِدَةٍ؛ إِذِ المغَايَرَةُ بَينَهُما – بِمَفْهُومِ د. **حَمَاسَةَ** – مَعْدُومَةٌ.

وَلَقَدِ اتَّفَقَ تَعرِيفُ د. **حَمَاسَةَ** لِلعَلاقَاتِ الأُفقِيَّةِ مَعَ تَعرِيفِ نُقَّادٍ آخَرِينَ لَهَا، أَمَّا تَعرِيفُهُ العَلاقَاتِ الرَّأسِيَّةَ فَإِنَّهُ قَدْ تَفَرَّدَ بِهِ فَاختَلَفَ عَنْهُم؛ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهَا مَفْهُومَ الاخْتِيَارِ بَينَ المفْرَدَاتِ أَوْ استِبْدَالِ كَلِمَةٍ بِأُخْرَىٰ، حَتَّىٰ سَمَّاهَا بَعضُهُم أَوْ تَرْجَمَهَا بِاسْمِ المحْوَرِ الاستِبْدَالِيِّ!!

من ذَلِكَ مثلًا تعريف د. **شُكْرِي عَيَّاد**؛ حَيْثُ يَقُولُ: "إِنَّ اللغَةَ شَكْلٌ وَلَيسَتْ مَادةً، أَيْ أَنَّهَا نِظَامٌ مِنَ العَلاقَاتِ. فَاللغَةُ مُكوَّنَةٌ مِنْ رُمُوزٍ اصطِلَاحِيَّةٍ (أَصْوَاتٌ ثُمَّ كَلِمَاتٌ) لَيْسَتْ لَهَا دِلَالةٌ ذَاتِيَّةٌ، وَإِنَّمَا تَتحَدَّدُ دِلَالةُ كُلِّ عُنصُرٍ مِنْ عَناصِرِهَا مِنْ خِلَالِ عَلاقَتِهِ بِالعنَاصِرِ الأُخْرَىٰ. وَهُنَاكَ نَوعَانِ مِنَ العَلاقَاتِ: عَلاقَاتٌ رَأْسِيَّةٌ تَرَابُطِيَّةٌ (تَعتَمِدُ عَلَىٰ تَدَاعِي المعَانِي) بَينَ الكَلِمَةِ وَقَرِيبَاتِهَا أَوْ نَظِيرَاتِهَا فِي الاشْتِقَاقِ، وَبَينَهَا وَبَينَ مُضَادَّاتِهَا

وَمُرَادِفَاتِهَا ... إلخ، كَالعَلَاقَةِ بَينَ (عَالِم)، وَ(عِلْم) وَ (مُعَلِّم) وَ(تَعلِيم) وَ(عَلَّمَ) و(عُلُومٍ)...إلخ، وَبَينَهَا وَبَيْنَ (قَائِم) وَ(قَاعِد) وَ(سَائِق) وَ(كَاتِب)... إلخ؛ وَبَينَهَا وَبَينَ (عَارِف) وَ(حَبْر) وَ(فَقِيه)... إلخ؛ وَبَينَهَا وَبينَ (جَاهِل) وَ(صَانِع) و(حِرَفِيّ)... إلخ .. وَالنوْعُ الثَّانِي مِنَ العَلاقَاتِ عَلاقَاتٌ أُفُقِيَّةٌ، أَيْ بَينَ أَجْزَاءِ الجمْلةِ بَعضِهَا بَعْضًا: فَالفِعْلُ يَتطَلَّبُ فَاعِلًا، وَبَعْضُ الأَفْعَالِ يَتعَدَّىٰ بِنَفْسِهِ، وَبَعضُهَا يَتعَدَّىٰ بِحَرْفٍ، وَبَعْضُ الأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ يَتطَلَّبُ نَوْعًا مُعَينًا مِنَ الموْصُوفِينَ مِثلَ (قَالَ) - لإِنسَان، وَ(صَهِلَ) - لِفَرس، وَ(يَانِع) - للنبَاتِ، وَ(فَارِه) - للدَّوَابِّ... إلخ"[٨٥].

وَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ وَعْيَ د. **شُكْرِي** بِأَنَّ تُرَاثَنَا أَسْبَقُ إِلَىٰ هَذِهِ العَلاقَاتِ (وَلَا سِيَّما العَلاقَاتُ الأُفقِيَّةُ) مِنْ **سُوسِيرَ** وَالبُنَوِيينَ أَجْمَعِينَ، يَقُولُ د. **شُكْرِي**: "وَلَقدْ وَضعَ سُوسِيرُ، بِوَصفِهِ للعَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ (التَّرَابُطِيَّةِ) بَينَ العنَاصِرِ اللغَوِيَّةِ (وَيُسَمِّيهَا عَلاقَاتٍ غِيابِيَّةً: (in absentia، وَيَرُدُّهَا إِلَىٰ عَمَلِ الذَّاكِرَةِ) أَسَاسًا عِلْمِيًّا صَالِحًا لِبَحْثِ (الدِّلَالَاتِ الإِضَافِيَّةِ: Connotation) التِي يَعتَمِدُ عَليهَا الأُسلُوبُ الأَدَبِيُّ. وَاكتَسَبَ هَذَا ثَرَاءً جَدِيدًا بِفَضْلِ دِرَاسَاتِ (عِلْمُ الدِّلَالَةِ) التِي قَامَ بِهَا عُلَمَاءُ آخَرُونَ مِنْ مُنطلَقٍ فَلسَفِيٍّ، كَمَا سَنَرىٰ فِي الفِقْرَةِ التَّالِيَةِ. أَمَّا (العَلاقَاتُ الأُفُقِيَّةُ) فَيُمكِنُنَا أَنْ نَتبيَّنَ عَظِيمَ شَأْنِهَا فِي دِرَاسَةِ الأُسلُوبِ الأَدَبِي إِذَا تَذَكَّرْنَا تَعرِيفَ البلَاغَةِ عِنْدَ إِمَامِ البَلَاغِيينَ العَربِ عَبدِ القَاهِرِ الجرجَانِيِّ، وَهُوَ أَنَّهَا (تَأَخِّي مَعَانِي النحْوِ بِحَسَبِ الأَغْرَاضِ التِي يُصَاغُ لَهَا الكَلَامُ)، وَتَعرِيفَ السَّكَّاكِيِّ بِأَنَّهَا

(مَعْرِفَةُ خَوَاصِّ التَّرَاكِيبِ). إِلَّا أَنَّ عُلماءَ الأُسلوبِ فِي عَصْرِنَا هَذَا عُنُوا بِإِيضَاحِ مَسْأَلَةٍ بَقِيَتْ غَامِضَةً مُشَوَّشَةً لَدَىٰ بَلَاغِيِّينَا، وَهِيَ عَلَاقَةُ القَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ بِالفَنِّ القَوْلِيِّ، وَهَذَا شَرْطٌ ضَرُورِيٌّ لِتَحْدِيدِ الظَّاهِرَةِ الأُسلوبِيَّةِ .. وَإِذَا كَانَ سُوسِيرُ قَدْ حَصَرَ اهتِمَامَهُ فِي الجمْلَةِ، وَهِيَ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ تَحمِلَ كُلَّ العَلاقَاتِ التِي تُكَوِّنُ العمَلَ الأَدَبِيَّ، فَإِنَّ عُلَمَاءَ اللغَةِ التَّالِينَ لَهُ أَدْخَلُوا فِي عِلْمِ اللغَةِ دِرَاسَةَ مَا سَمَّوْهُ (الحدِيثَ: discours)، أَوِ (النصَّ: texte)، حَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ تُدْرَسَ العَلاقَاتُ الصَّوتِيَّةُ وَالدِّلَالِيَّةُ التِي تَنتَظِمُ النصَّ كُلَّهُ: كَظَاهِرَةِ الإيقَاعِ، وَالتنْغِيمِ، وَالتوَازِي، وَالتنَاظُرِ والتكْرَارِ، وَالتضْمِينِ... إلخ"[٨٦].

وَلِلدكتُورِ **عَبْدِ السلَامِ المسَدِّي** كَلامٌ مُشَابِهٌ لِكَلَامِ د. **شُكْرِي عَيَّاد** ، وَلَا اختِلَافَ بَينَهما إِلَّا فِي المفَاهِيمِ؛ فَالدكتُورُ **المسَدِّي** يُسَمِّي العَلاقَاتِ الرَّأسيةَ مَفهُومَ الاستِبْدَالِ (Le paradigm)، أَو العَلاقَاتِ الاستِبْدَالِيةَ (Rapports paradigmatiques) أو مِحْوَرَ الاخْتِيَارِ (L’axe de selection)، ويصف هَذِهِ العَلاقَاتِ بِأَنَّهَا رَوَابِطُ غِيَابِيَّةٌ، أَيْ يَتَحَدَّدُ الحاضِرُ مِنْهَا بِالغَائِبِ، وَيَتحَدَّدُ الغَائِبُ انطِلَاقًا مِنَ الحاضِرِ. أَمَّا **العَلاقَاتُ الأُفقيةُ** فَيُسمِّيها العَلاقَاتِ الرُّكنِيَّةَ (syntagmatiques Rapports)، وَهِيَ عَلاقَاتٌ تَزدَوِجُ مَعَ العَلاقَاتِ الاستِبْدَالِيَّةِ فِي الحدَثِ اللسَانِيِّ ، وَتُسَمَّىٰ كَذَلِكَ مِحْوَرَ التوْزِيعِ (L’axe de distribution) لِأَنَّ تَنظِيمَهَا هُوَ بِمَثَابَةِ رَصْفٍ لَهَا عَلَىٰ سِلْسِلَةِ الكَلَامِ، وَتَتميَّزُ العَلاقَاتُ الرُّكنِيَّةُ

بِكَوْنِهَا حُضُورِيَّةً أَيْ يَتَحَدَّدُ بَعضُهَا بِبَعْضٍ بِمَا هُوَ مَوْجُودٌ، أَيْ بِمَا وَقَعَ اختِيَارُهُ فِعلًا دُونَ مَا يُقَدَّرُ أَنَّهُ يُمكِنُ أَنْ يُخْتَارَ مِنَ الرَّصِيدِ(٨٧).

وَلَوْلَا خَشْيَةُ الإِطَالَةِ لَنقلْتُ كَلَامَ د. **المسَدِّي** كَامِلًا - وَهُوَ مُتَاحٌ عَلَىٰ أَيَّةِ حَالٍ لِمَنْ أَرَاغَهُ - لِأُؤَكِّدَ تَفَرُّدَ د. **حَمَاسَةَ** بِفَهْمٍ خَاصٍّ لِمَفهُومِ العَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ، وَهُوَ مَفْهُومٌ مُغَايِرٌ لِمَا أَرَادَهُ وَاضِعُوهُ وَمُتَرْجِمُوهُ عَلَىٰ سَوَاءٍ؛ إِذْ جَعلَهُ د. **حَمَاسَةُ** مُرَادِفًا لِمَفْهُومِ (التَّمَاسُكِ النصِّيِّ)، وَقَدْ كَانَ يَسَعُهُ أَنْ يَستَخْدِمَ مَفهُومَ (التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ) فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَىٰ مُرَادِهِ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّ الأَلْسُنِيينَ يُشِيرُونَ بِمَفْهُومِ (العَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ) إِلَىٰ مَعْنًىٰ أَوْ دِلَالَةٍ مُحَدَّدَةٍ، وَإِلَّا فَإِنَّ مَفْهُومَ (العَلاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ) غَيْرُ وَاضِحٍ لَدَىٰ د. **حَمَاسَةَ**.

وَسَادِسُهَا- البِنْيَتَانِ: السَّطحِيَّةُ وَالعَمِيقَةُ

أَمَّا هَذِهِ الثنَائِيَّةَ فَقَدْ أَخَذَهَا د. **حَمَاسَةُ** عَنِ النظَرِيةِ التوْلِيدِيَّةِ التحْوِيليَّةِ، وَتَحدِيدًا **تشُومِسْكِي** أَوْ مَنْ نَقَلَ عَنْهُ؛ فَهَاتَانِ البِنيَتَانِ مِنْ أَهَمِّ مَقُولَاتِ **تشُومِسْكِي** اللغَوِيَّةِ؛ إِذْ صَاغَ تشُومِسْكِي هَذَيْنِ المصطَلَحَيْنِ وَنَشَرَهُمَا أَوَائِلَ الستِّينيَّاتِ، لَكِنَّ أَوَّلَ مَنِ استَخْدَمَ مُصطَلَحَي (**البِنْيَة السَّطْحِيَّة**: surface structure) وَ(**البِنْيَة العَمِيقَة**: deep structure) هُوَ **تشَارلز هُوكِيت** (Charles Hockett) فِي مُؤَلَّفِهِ الشَّهِيرِ (مُحاضَرَةٌ فِي اللسَانِيَّاتِ الحدِيثَةِ)؛ وَلَمْ يَظْهَرْ هَذَانِ المصْطلحَانِ عِنْدَ **تشُومسْكِي** بِطَرِيقَةٍ جَلِيَّةٍ إِلَّا فِي (مَظَاهِرُ النظَرِيَّةِ التَّرْكِيبِيَّةِ) عَامَ ١٩٦٥م، وَمُلخَّصُ هَذِهِ الثُّنَائِيَّةِ: أَنَّ لِكُلِّ جُمْلَةٍ بِنيَتَيْنِ: بِنْيَةً عَمِيقةً وَبِنيةً سَطحِيَّةً. أَمَّا **البِنْيَةُ**

العَمِيقةُ فَهِيَ شَكْلٌ تَجرِيدِيٌّ (abstract) دَاخِلِيٌّ يَعْكِسُ العمَلِيَّاتِ الفِكْرِيَّةَ، وَيُمثِّلُ التفْسِيرَ الدِّلَالِيَّ الذِي تُشْتَقُّ مِنْهُ البِنيَةُ السَّطْحِيَّةُ مِنْ خِلَالِ سِلْسِلةٍ مِنَ الإِجْرَاءَاتِ التحْوِيلِيَّةِ. وَأَمَّا **البِنيَةُ السَّطحِيَّةُ** فَتُمثِّلُ الجمْلةَ كَمَا هِيَ مُسْتَخدَمَةٌ فِي عَمَليَّةِ التوَاصُلِ أَيْ فِي شَكْلِهَا الفِيزْيَائِيِّ بِوَصْفِهَا مَجْمُوعةً مِنَ الأَصْوَاتِ أَوِ الرُّمُوزِ. وَحَسْبَ التحْوِيلِيّينَ فَإِنَّ هَاتَيْنِ الجمْلَتَيْنِ: (كَتَبَ أَحْمَدُ الرسَالةَ) وَ(كُتِبَتِ الرسَالَةُ مِنْ قِبَلِ أَحْمَد) لَا تَخْتَلِفَانِ إِلَّا مِنَ الناحِيَةِ التَّرْكِيبيَّةِ؛ أَيْ عَلَىٰ مُستَوَىٰ البِنيَةِ السَّطْحِيَّةِ، وَلَكِنَّهُمَا مُرْتَبِطَتَانِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا – إِنْ لَمْ نَقُلْ مُتطَابِقَتَانِ – عَلَىٰ مُستَوَىٰ البِنْيَةِ العَمِيقَةِ(٨٨).

هَذَا، وَيُمْكِنُنَا أَنْ نُقَارِنَ بَينَ مَوضِعَيْنِ تَحَدَّثَ فِيهِمَا **د. حَمَاسَةُ عَنْ** هَاتَينِ البِنيتَينِ (السَّطْحيةِ وَالعَمِيقَةِ)؛ أَمَّا الأَوَّلُ فَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِهِ (النحْوُ والدِّلَالةُ) خِلَالَ تَناولِهِ بَعْضَ الظوَاهِرِ النحْوِيَّةِ التِي يَقُومُ فِيهَا الجانِبُ الدِّلَالِيُّ بِدَوْرٍ بَارِزٍ مِثْلَ الاختِصَارِ أَوْ الحذْفِ لِبعَضِ عَناصِرِ الجمْلَةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَىٰ ضَربَينِ: **أَحَدُهُمَا** – مَا يَكونُ بِالتوَسُّعِ فِي إِيقَاعِ العَلَاقَاتِ النحْوِيةِ وَيُسَمِّي **سِيبَوَيْهِ** هَذَا النوْعَ (اتسَاعَ الكَلَامِ) وَ**ثَانِيهِمَا** – مَا يَكُونُ بِحَذْفِ بَعضِ عَنَاصِرِ الجمْلَةِ اكتِفَاءً بِبَعْضِهَا الآخَرِ، يَقُولُ **سِيبوَيْهِ**: "وَمِمَّا جَاءَ عَلَىٰ اتسَاعِ الكَلَامِ والاختِصَارِ قَولُهُ تَعَالَىٰ جَدُّهُ: ﴿**وَاسْأَلِ القَرْيَةَ التِي كُنَّا فِيهَا وَالعِيرَ التِي أَقْبَلْنَا فِيهَا**﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ: أَهْلَ القَرْيَةِ، فَاختَصَرَ، وَعَمِلَ الفِعْلُ فِي القرْيَةِ كمَا كَانَ عَامِلًا فِي الأَهْلِ لَوْ كَانَ هَا هُنَا. وَمِثْلُهُ: ﴿**بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾

وَإِنَّمَا المعْنَىٰ: بَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيلِ وَالنَّهَارِ. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ**﴾ وَإِنَّمَا هوَ: وَلَكِنَّ البِرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليوْمِ الآخِرِ(٨٩).

فَالاعْتِمَادُ فِي الأَمْثِلَةِ السَّابِقَةِ التِي أَوْرَدَهَا **سِيبوَيْهِ** إِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ الْجَانِبِ الدِّلَالِيِّ المفْهُومِ مِنْ أَنَّ القَرْيَةَ لَا تُسْأَلُ، وَلَكِنْ يُسْأَلُ أَهْلُهَا، وَأَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَمْكُرَانِ، وَلَكِنْ يَقَعُ المكْرُ فِيهِمَا ... وَهَذَا مِنْ (تَصْحِيحِ اللفْظِ عَلَىٰ المعْنَىٰ) بِعبَارَةِ **سِيبوَيهِ** نَفْسِهِ... وَإِذَنْ فَهُنَاكَ مُستَوَيَانِ: أَحَدُهُمَا غَيْرُ مَنْطُوقٍ بِهِ، وَالآخَرُ مَنْطُوقٌ بِهِ، وَغَيْرُ المنطُوقِ بِهِ يَتحَكَّمُ فِي تَوْجِيهِ المنطُوقِ وَتَفْسِيرِهِ. المسْتَوَىٰ الأَوَّلُ: وَاسْأَلْ أَهْلَ القَرْيَةِ (غَيْرُ مَنطُوقٍ بِهِ). المسْتَوَىٰ الثَّانِي: وَاسْأَلِ القَرْيَةَ (مَنطُوقٌ بِهِ)(٩٠).

يَقُولُ **د. حَماسَةُ** عَقِبَ هَذِهِ الأمثِلَةِ وَسِوَاهَا: **"وَالتقْدِيرُ هُنا هُوَ مَا يُسَمِّيهِ التحْوِيلِيُّونَ البِنيَةَ العَمِيقةَ"**(٩١).

وَغَيْرُ خَافٍ أَنَّ إِشَارَةَ **د. حَمَاسَةَ** السَّالِفةَ إِلَىٰ البِنْيَةِ العَمِيقَةِ وَاقِعَةٌ فِي إِطَارِ (نَحْوِ الجمْلةِ) وَلَمْ تَتجَاوَزْهُ إِلَىٰ مُسْتَوَىٰ (نَحْوِ النصِّ).

وَأَمَّا **المَوْضِعُ الآخَرُ** الذِي تَنَاوَلَ فِيهِ **د. حَمَاسَةُ** هَاتيْنِ البِنْيَتَينِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِهِ (اللغَةُ وَبِنَاءُ الشِّعْرِ)؛ حَيْثُ يَتَّخِذُ هَاتيْنِ البِنيَتَيْنِ مَدْخَلًا إِلَىٰ قِرَاءَةِ قَصِيدَةِ (**سُحَيْمٍ عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ**)، وَقَدْ قَالَ عَنْهما كَلَامًا كَثِيرًا؛ خُلَاصَتُهُ: أَنَّهُ يَنبَغِي أَلَّا نُخْدَعَ بِظَاهِرِ القَصيدِةِ أَوْ سَطْحِها، فَقَدْ "تَبْدُو القَصِيدَةُ فِي بِنْيَتِهَا الظَّاهِرَةِ أَوِ السَّطْحِيَّةِ جَامِعَةً لِعَدَدٍ مِنَ الصوَرِ لَيْسَ بِينَهَا – مِنْ حَيْثُ النَّظْرَةِ التِي لَا تَتجَاوَزُ السَّطْحَ – رِبَاطٌ جَامِعٌ إِلَّا أَنَّهَا جَمِيعًا فِي

قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ذَاتِ وَزْنٍ وَاحِدٍ وَرَوِيٍّ وَاحِدٍ، نَظْلِمُ الشِّعْرَ إِذَا نَظَرْنَا لِلقَصِيدَةِ عَلَىٰ أَنَّهَا كَذَلِكَ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لِلقَصِيدَةِ بِنيَةٌ عَمِيقَةٌ تَجْمَعُ هَذِهِ الصوَرَ فِي إِطَارٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ تَبَاعُدِ مَا بَينَهَا ظَاهِرِيًّا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الإِطَارَ كَبِيرٌ يَتَّسِعُ لِضَمِّ هَذِهِ الصُّوَرِ بِحَيْثُ تَكُونُ كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا مُعادِلًا لِبُعْدٍ مُعَيَّنٍ مِنْ أَبْعَادِ القَصِيدَةِ، وَبَينَ هَذِهِ الأَبْعَادِ خُيُوطٌ نَاسِجَةٌ وَعَلَاقَاتٌ رَابِطَةٌ"[٩٢].

وَقَدْ بَنَىٰ د. **حَمَاسَةُ** عَلَىٰ رُؤيَتِهِ هَذِي لِسَطْحِ القَصِيدَةِ وَعُمْقِهَا ثَلَاثَةَ مَوَاقِفَ:

أَوَّلُهَا – أَنَّ حَدِيثَ الشَّاعِرِ عَنْ نَفْسِهِ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ سِيرَةً ذَاتِيَّةً. بَلْ قَدْ يَكْثُرُ أَنْ يَنطَلِقَ الشَّاعِرُ مِنْ ذَاتِهِ إِلَىٰ تَقْدِيمِ رُؤيَةٍ لِلحيَاةِ أَوِ الكَوْنِ مِنْ خِلَالِ نَفْسِهِ بِوَصْفِهَا مُفْرَدًا مِنْ مُفرَدَاتِ الحيَاةِ. وَنُقْطَةُ الخطَرِ هُنَا فِي التفْسِيرِ أَنْ نَقْصِرَ مَا يَقُولُهُ الشاعِرُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فَحَسْبُ، وَنَجْعَلُ ذَلِكَ مَثَلًا سِيرَةً ذَاتِيَّةً لَهُ وَحْدَهُ لَا يَشْرَكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ. إِنَّ أَيَّ مُفرَدٍ مِنْ مُفرَدَاتِ الحيَاةِ أَوِ الكَوْنِ بِمَا فِيهَا الشَّاعِرُ نَفْسُهُ عِنْدَمَا يَدْخُلُ فِي بِنَاءِ القَصِيدَةِ يُصْبِحُ جُزْءًا مِنَ الصُّورَةِ الفَنيَّةِ التِي تَشْتَمِلُ عَليهِ وَلَا يُمثِّلُ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ[٩٣].

وَثَانِيهَا – أن بعضَ القَصَائِد قَدْ تَسْلُكُ مَسْلَكًا مُغَايرًا فتَبدُوَ أَنَّهَا تَصِفُ أَشيَاءَ خَارِجَةً عَنْ ذَاتِ الشَّاعِرِ كَأَنْ تَصِفَ البَرْقَ أَوِ النَّاقَةَ، أَوِ الفَرَسَ، أَوِ السَّحَابَ، أَوِ الثَّوْرَ الوَحِشِيَّ أَوِ الظَّلِيمَ، أَوِ الذِّئْبَ أَوْ غَيرَ هَذَا وَذَاكَ مِنْ مَظَاهِرِ الحيَاةِ المتنَوِّعَةِ. وَقَدْ أَوْجَبَ أَلَّا نَنخَدِعَ بِهَذَا الْمَظْهَرِ وَنُسَارِعَ إِلَىٰ تَصنِيفِ القَصِائِدِ مِنْ خِلَالِ الوَصْفِ الظَّاهِرِيِّ، وَإِنَّمَا عَلينَا أَنْ نَبْحَثَ دَائِمًا

عَنِ البِنيَةِ العَمِيقَةِ لِلقَصِيدَةِ أَوِ الأَبْنِيَةِ العَمِيقَةِ لَهَا، فَقَدْ تَكُونُ القَصِيدَةُ، وَهِيَ تَصِفُ السَّحَابَ مَثَلًا تُشِيرُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَىٰ رُؤْيَةٍ خَاصَّةٍ لِلحَيَاةِ كُلِّهَا(٩٤).

وَلِكَيْ يُوَضِّحَ د. حَمَاسَةُ هَذِهِ النقْطةَ ضَرَبَ مَثَلًا حَدِيثَ الشعرَاءِ عَنِ البَرْقِ؛ فقالَ: "إِنَّ البَرْقَ - مَثَلًا - ظَاهِرَةٌ شِعْرِيَّةٌ، وَصَفَهَا كَثِيرٌ مِنَ الشعرَاءِ قَبْلَ سُحَيْمٍ عَبْدِ بَنِي الحسْحَاسِ مِثْلَ امْرِئِ القَيْسِ وَطَرَفَةَ والنَّابِغَةِ وَأَوْسِ بْنِ حَجَر، وَوَصَفَهَا سُحَيْمٌ نَفْسُهُ فِي قَصِيدَتَيْنِ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِهِ. هَلْ يَعْنِي هَذَا أَنَّ البَرْقَ حَيْثُ وَرَدَ يَعْنِي الشَّيْءَ نَفْسَهُ الَّذِي عَنَاهُ فِي كُلِّ قَصِيدَةٍ؟ إِنَّ كُلَّ (بَرْقٍ) عَلَىٰ حِدَةٍ حَيْثُ يَرِدُ لَهُ تَفْسِيرُهُ الْخَاصُّ بِحَسَبِ سِيَاقِ القَصِيدَةِ التِي يَرِدُ فِيهَا، وَلَوْ كَانَ الشَّاعِرُ وَاحِدًا. وَمِنْ هُنَا لَيْسَ يُغْنِي مُطْلَقًا أَنْ تُجْمَعَ الظَّاهِرَةُ التصْويرِيَّةُ فِي الشِّعْرِ وَحْدَهَا بِحَيْثُ يُتَنَاوَلُ مَثَلًا (البَرْقُ فِي الشِّعْرِ العرَبِيِّ)؛ لأَنَّ الصُّورَةَ لَا تُفَسَّرُ وَحْدَهَا، بَلْ الأَوْلَىٰ أَنْ تُفَسَّرَ كُلُّ قَصِيدَةٍ عَلَىٰ حِدَةٍ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَليهِ مِنْ رُمُوزٍ وَصُوَرٍ خَاصَّةٍ بِهَا، وَإِنْ تَشَابَهَتْ فِي بَعْضِ أَجْزَائِهَا مَعَ القَصَائِدِ الأُخْرَىٰ"(٩٥).

وَثَالِثُهَا - أَنَّ د. حَمَاسَةَ يُسَاوِي مَفهُومَ البنْيَةِ العَمِيقَةِ بِمَا يُسمِّيهِ (نُقطةَ الارْتِكَازِ الضَّوْئِيِّ)؛ حَيثُ يَقولُ: "إِنَّ القَصِيدَةَ وَحْدَةٌ لُغَوِيَّةٌ فَنِّيَّةٌ مُستَقِلَّةٌ. وَفَهْمُ القَصِيدَةِ يَكْمُنُ فِيهَا. وَفِي كُلِّ قَصِيدَةٍ دَائِمًا مَا أُسَمِّيهِ (**نُقطةَ الارْتِكَازِ الضَّوْئِيِّ**) التِي تَكْشِفُ بِنيَةَ القَصِيدَةِ كُلَّهَا. وَعَلَىٰ مَنْ يَتَعَرَّضُ لِتَفْسِيرِ أَيَّةِ قَصِيدَةٍ مِنْ خِلَالِ تَركِيبِهَا أَنْ يُعاوِدَ قِرَاءَتَهَا حتَّىٰ يُمْسِكَ بِالْخَيْطِ الَّذِي

يُوَصِّلُهُ إِلَىٰ البِنْيَةِ العَمِيقَةِ لِلقَصِيدَةِ. (**نُقْطَةُ الارتِكَازِ الضَّوْئِيِّ**) هَذِهِ لَيْسَتْ شَيْئًا مَفْرُوضًا مِنْ خَارِجِ القَصِيدَةِ سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ مِنْ حَيَاةِ الشَّاعِرِ وَسِيرَتِهِ الذَّاتِيَّةِ أَمْ مِنَ الحادِثَةِ الْمُلَابِسَةِ لِلقَصِيدَةِ وَالوَاقِعَةِ المصَاحِبَةِ لَهَا التِي يُقَدِّمُهَا بَعْضُ الرُّوَاةِ وَمُؤَرِّخِي الأَدَبِ عَلَىٰ أَنَّهَا الدَّافِعُ لِلقَصِيدَةِ. لَيْسَتْ شَيْئًا مِنْ هَذَا كُلِّهِ؛ لِأَنَّ القَصِيدَةَ عِنْدَمَا تَبْدَأُ فِي التَّشَكُّلِ تَنْفَصِلُ عَنْ كُلِّ هَذَا وَتَبْدَأُ فِي بِنْيَتِهَا اللغَوِيَّةِ الفَنِيَّةِ الخَاصَّةِ، وَمِنْ هُنَا يَنْبَغِي أَنْ يُكَثَّفَ الاعتِمَادُ عَلَىٰ مَادَّتِهَا التِي فِي مُتَنَاوَلِ أَيْدِي الدَّارِسِ وَهِيَ التراكِيبُ اللغَوِيَّةُ وَالأَبْنِيَةُ النحْوِيَّةُ الكَامِنَةُ تَحْتَ سَطْحِ هَذِهِ التراكِيبِ وَالتِي تُعْطِيهَا دِلَالَتَهَا بِالتفَاعُلِ مَعَ الْمُفْرَدَاتِ المستَخْدَمَةِ فِي هَذَا البِنَاءِ"[٩٦].

تِلْكَ خُلَاصَةُ مَا كَتَبَهُ د. **حَمَاسَةُ** عَنْ هَاتَيْنِ البِنْيَتَيْنِ (**السَّطْحِيَّةِ وَالعَمِيقَةِ**) تَوْطِئَةً لِقِرَاءَتِهِ قَصِيدَةَ (سُحَيْم) وَفْقَهُمَا، وَحِينَ نُقَارِنُ كَلَامَهُ هَذَا بِكَلَامِهِ السَّالِفِ فِي كِتَابِهِ (النحْوُ وَالدِّلَالَةُ) نَجِدُ الْمَسَافَةَ بَينَ الكَلَامِينِ وَاسِعَةً، وَالبَوْنَ بَينَهُما كَبِيرًا، فَبَينَما جَعَلَ د. **حَمَاسَةُ** (البِنْيَةَ العَمِيقَةَ) فِي المَوْضِعِ الأَوَّلِ مُرَادِفَةً لِوَظِيفَةٍ نَحْوِيَّةٍ (الاختِصَار وَالْحَذْفِ وَالتقْدِيرِ)؛ جَعَلَها فِي المَوْضِعِ الثَّانِي مُرَادِفَةً لِوَسِيلَتَي الرَّمْزِ وَالصُّورَةِ، وَبَينَما كَانَ فِي الْمَوْضِعِ الأَوَّلِ قَرِيبًا مِنْ **تشُومِسْكِي** صَاحِبِ مَقُولَتَي البِنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ والبِنيَةِ العَمِيقَةِ، نَرَاهُ فِي المَوْضِعِ الثَّانِي يَستَخْدِمُ المفهُومَيْنِ استِخْدَامًا خَاصًّا يُقَرِّبُهُ مِنْ كَلَامِ الرَّمْزِيينَ وَالتَّأْوِيلِيِّنَ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُوحِي بِعَدَمِ وُضُوحِ المفهُومِ لَدَىٰ د. **حَمَاسَةَ**؛ فَإِذَا كَانَ فِي مَقَامِ النحْوِ تَحَدَّثَ بِلغَةِ النحَاةِ

وَمَفَاهِيمِهِم، وَإِذَا كَانَ فِي مَقَامِ القِرَاءَةِ أَوِ التَّحْلِيلِ النصِّيِّ تَجَاوَزَ لُغَةَ النحَاةِ إِلَىٰ لُغَةِ النقَّادِ؛ وَلَا ضَيْرَ فِي هَذَا مَا احْتَفَظَ النَّاقِدُ لِمَفَاهِيمِهِ بِمَدْلُولَاتِهَا، لَكِنَّ الْمَفَاهِيمَ لدَىٰ د. **حَمَاسَةَ** تَتبَدَّلُ وَتَتغَيَّرُ بَلْ تَتدَاخَلُ كُلَّمَا تَغَيَّرَ الْمَقَامُ وَالسِّيَاقُ، وَمِنْ ثَمَّ تُفَارِقُ المدْلُولَ الَّذِي اختَارَهُ لَهَا وَاضِعُوهَا؛ فَالبِنْيَةُ العَمِيقَةُ فِي كِتَابِ د. **حَمَاسَةَ** (النحْوُ وَالدِّلَالَةُ) - وَوَفْقَ كَلَامِهِ - تَعْنِي (التقْدِيرَ) بِمعْنَاهُ النَّحْوِيِّ، وَلَا تَكَادُ تُفَارِقُ (نَحْوَ الْجُمْلَةِ: sentence grammar) إِلَىٰ (نَحْوِ النَّصِّ: text grammar)، لَكِنَّهَا فِي كِتَابِهِ (اللغةُ وَبِنَاءُ الشِّعْرِ) تَعْنِي الرَّمْزَ أَوِ الصُّورَةَ، وَتِلْكَ أَمَارَةُ التدَاخُلِ بَينَ المفَاهِيمِ فِي خِطَابِهِ النقْدِيِّ، وَلَقَدْ رَأينَاهُ مِنْ قَبْلُ يَستَخْدِمُ مَفهومَ (العَلَاقَاتِ الرَّأْسِيَّةِ) مُرَادِفًا لِمَفْهُومِ (التَّمَاسُكِ النصِّيِّ)، أَمَّا مَفهُومُ (البنيَةِ العَمِيقَةِ)، فَيستَخْدِمُهُ مُرَادِفًا لِمَفْهُومَي الْحَذْفِ وَالتقْدِيرِ تَارَةً، وَمَفهُومِ الصُّورَةِ تَارَةً ثَانِيَةً، وَمَفهُومِ الرَّمْزِ تَارةً ثَالثةً، وَمَفهُومِ رُؤيَةِ الحيَاةِ تَارَةً رَابِعَةً، ثُمَّ مَفهُومِ (الْمُرتكَزِ الضَّوْئِيِّ) مَرَّةً خَامِسَةً؛ مِمَّا يَعنِي أَنَّ الخِطَابَ النقْدِيَّ لَدَىٰ د. **حَمَاسَةَ** تُعْوِزُهُ الدِّقَّةُ فِي بِنَاءِ المفَاهِيمِ وَتَوظِيفِهَا، وَلَسْتُ أَدْرِي مَا حَاجَةُ النّاقِدِ إِلَىٰ مَفْهُومِ (البِنيَةِ العَميقَةِ) إِذَا كَانَ يَتَناوَلُ الصُّورَةَ أَوِ الرَّمْزَ فِي قَصِيدَةٍ مَا، فَذَانِكَ مَفهومَانِ آخَرَانِ لَهُمَا دِلَالاتٌ وَمَلامِحُ مُحدَّدَةٌ، وَإِنَّ مَا كُتِبَ عَنْ هَذيْنِ المفهُومَينِ مِنْ رُؤًىٰ وَمُمَارَسَاتٍ يَنِدُّ عَنِ الحصْرِ؛ وَمِنْ ثَمَّ يُصبِحُ خَلْطُ مَفْهومِ (البِنيَةِ العَميقَةِ) بِذَيْنِكَ المفهُومَيْنِ، أَوْ غَيْرِهِمَا، مَبْعثًا لِلعَجَبِ!

وَلَا حَاجَةَ بِي لِأَنْ أُكَرِّرَ أَنَّ مَفهُومَ (المرتَكزِ الضَّوْئِيِّ) – الذِي يُوحِي د. **حَمَاسَةُ** إِلَىٰ قَارِئِهِ أَنَّهُ مَنْ وَضَعَهُ أَوِ اكتَشَفَهُ – يَكَادُ يَكُونُ مَأْخُوذًا مِنْ أُسلُوبِيَّةِ **سبتزَر**، مِثْلَما أَخَذَ مِنْهُ د. **حَماسَةُ** وَغَيْرُهُ مَفهُومَ (كُلِّيَّةِ النصِّ)، بَلْ قَارِنْ مَا تَرْجَمَهُ د. **صَلَاح فَضْل** مِنْ كَلامِ **سبتزَر**[٩٧]. بِبعْضِ كَلامِ د. **حَمَاسَةَ** الآنِفِ، تَرَ أَنْفَاسَ **سبتزر** تَتَرَدَّدُ خِلَالَ كَلِماتِ د. **حَماسَةَ!**

خَاتِمَةُ الدِّرَاسَة

تِلْكَ أَهَمُّ الأُصولِ التِي آمَنَ بِهَا د. **مُحمَّد حَمَاسَة عَبدِ اللَّطِيفِ**، وَاتَّخذَهَا رَكَائِزَ وَأَدوَاتٍ لِتحْلِيلِ النصِّ الشِّعْرِيِّ، وَقَدْ جَلَّيْنَا بَعضَ ثُغرَاتِ هَذِهِ الأُصُولِ، فَرَأينَاهَا مُستعَارَةً مُجتَلَبَةً مِنْ مَنَابِتَ شَتَّىٰ؛ فَبعْضُهَا مَأخُوذٌ مِنْ النقْدِ الجدِيدِ، وَبَعضُهَا مَأخوذٌ مِنَ البُنَويَّةِ، وَبَعضُهَا مُستَمَدٌّ مِنَ أُسلُوبيةِ سبتزَر، وَبَعضُهَا مَنسُوبٌ إِلَىٰ التوْلِيديَّةِ التحْوِيلِيَّةِ، وَقَد يَكونُ فِي تَعدُّدِ هَذِهِ المَنَابِتِ مَا يُوحِي بِاضْطِرَابِ الرؤْيَةِ لَدَىٰ النَّاقِدِ، فَيبدُو مَنهَجُه تَجْمِيعًا مِنْ مَناهِجَ شَتَّىٰ.

وَإِذَا تَجاوزْنَا تَنوُّعَ المنَابِتِ، وَمَا يَشِي بِهِ مِنْ تَداخُلٍ، وَاضْطِرَابٍ؛ أَلْفَينَا هَذِهِ المنَابِتَ – عَلَىٰ تَنوُّعِهَا – مَنَابِتَ غَرْبِيَّةً، وَفِي ذَلِكَ أَزْمَةٌ أُخْرَىٰ مِنْ أَزمَاتِ خِطابِنَا النقدِيِّ المعَاصِرِ، بَلْ مِنْ أَزمَاتِ ثَقافَتِنَا العَربيةِ المعاصِرَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الثقافةَ العَربيةَ الحديثةَ أَصْبَحَتْ ثقَافةَ (مُطابَقَةٍ)، وَلَيْسَتْ ثَقافَةَ اختِلَافٍ، فَهِيَ فِي جُمْلَةِ ممارَسَاتِهَا العَامَّةِ وَاتِّجَاهَاتِهَا الرَّئِيسَةِ، تَهْتَدِي بِمَرْجَعيَّاتٍ مُتصِلَةٍ بِظُرُوفٍ تَاريخيةٍ مُختلِفَةٍ عَنْ ظُروفِهَا، فَمَرَّةً تَتطابَقُ مَعَ مَرجِعيَّاتٍ ثَقَافِيَّةٍ أَفرزَتْهَا مَنظومَاتٌ حضَارِيَّةٌ لَهَا شُرُوطُها الْخَاصَّةُ، وَمَرَّة تَتطابَقُ مَعَ مَرجِعيَّاتٍ ذَاتيَّةٍ تَجرِيدِيَّةٍ وَقَارَّةٍ مُتصلَةٍ بنمُوذَجٍ فِكريٍّ قَديمٍ، وَفِي هَذَيْنِ الضَّربَيْنِ مِنْ ضُروبِ (المطابقَةِ) تَندرِجُ الثقَافَةُ العَربيَّةُ الحديثةُ فِي نَوْعٍ مِنَ العَلاقَاتِ الملتَبِسَةِ التِي يَشُوبُهَا الإغوَاءُ الأَيديولُوجِيُّ مَعَ (الآخَرِ) وَ(الْمَاضِي) بحَيثُ يُصبِحُ حضُورُهُما (اسْتعَارَةً) جُرِّدتْ مِنْ

شُروطِهَا التاريخيَّةِ، وَوُظِّفَتْ فِي سِيَاقَاتٍ مُختَلِفَةٍ، وَمِنَ الطَّبيعِيِّ أَنْ يُؤَدِّيَ كُلُّ هَذَا إِلَىٰ تَمْزِيقِ النَّسِيجِ الدَّاخِلِيِّ لِتلْكَ الثقَافَةِ[٩٨].

وَلِهَذِهِ الاستِعَارَةِ خُطورَةٌ خَاصَّةٌ فِي مَجَالِ النقْدِ الأدَبِيِّ؛ لأَنَّهَا تَعْنِي أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا يُصوِّرُهُ لَنَا النقَّادُ المعاصِرُونَ مَبَادِئَ لِتلَقِّي النصُوصِ وَتَأْوِيلِهَا؛ لَيْسَتْ فِي حَقِيقَتِهَا سِوَىٰ أَفْكَارٍ جَاهِزَةٍ أُعِدَّتْ سَلَفًا، وَلَمْ تَستَنْبِتْهَا قِرَاءَةٌ عَاطِفَةٌ مُتدَبِّرَةٌ لِلنَّصِّ الأَدَبِيِّ.

وَلقَدْ رَأَيْنَا كَذِلِكَ أَنَّ بَعْضَ هَذهِ الأُصولِ (اسْتِقْلَال النَّصِّ) نِسْبِيٌّ، وَلَا يَصِحُّ تَعمِيمُهُ أَوِ اطِّرَادُهُ، فَلَيْسَتْ كُلُّ النصُوصِ سَوَاءً فِي اسْتِجَابَتِهَا لِهذَا الأَصْلِ. كَمَا أَنَّ د. **حَمَاسَةَ** فَهِمَ بَعْضَ الأُصولِ التِي تَبنَّاهَا (العَلَاقَات الرَّأسِيَّة وَالأُفقِيَّة) فَهْمًا خَاصًّا يُخَالِفُ فِيهِ بَقِيَّةَ الدَّارِسِينَ.

وَقَدْ يَتبَنَّىٰ د. **حَماسَةُ** مَبدَأَيْنِ يُنَاقِضُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كَقولِهِ بواحِدِيَّةِ المدخَلِ مَرَّةً، وَقَوْلِهِ بِتعَدُّدِ المدَاخِلِ إِلَىٰ النصِّ الأَدَبِيِّ مَرَّةً أُخْرَىٰ. بَلْ إِنَّ د. **حَمَاسَةَ** يَستَخْدِمُ بَعْضَ المفَاهِيمِ اسْتِخْدَامًا غَيرَ دَقِيقٍ، مِثلَما استَخْدَمَ مَفهُومَ (البِنْيةِ العَمِيقَةِ) مُرادِفًا لِمَفْهُومِ (التقْدِيرِ النحْوِيِّ) تَارَةً، ثُمَّ استَخْدَمَهُ مرَادِفًا لِمَفْهُومَي الصُّورَةِ وَالرَّمزِ تَارَةً أُخْرَىٰ، وَقَدْ أَفْضَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ تَداخُلِ المفَاهِيمِ فِي خِطَابِهِ النقْدِيِّ!

وَزِدْ عَلَىٰ كُلِّ مَا سَبقَ أَنَّ الدكتورَ **حَماسَةَ** لَمْ يُوفَّقْ إِلَىٰ تَنزِيلِ هَذهِ الأُصُولِ وَالمبادِئِ التِي تَبنَّاهَا عَلَىٰ النصُوصِ التِي عُنِيَ بِتَحْلِيلِهَا وَقِرَاءَتِهَا، وَقَدْ ضَرَبْنَا لِذَلِكَ أَمْثِلَةً قَلِيلةً، وَالحقُّ أَنَّ هَذِهِ الإِشْكَالِيةَ (اتِّسَاعَ المسَافَةِ بينَ

التنظِيرِ وَالتطْبيقِ) كَانَتْ تَقتَضِي أَنْ نَقِفَ مَلِيًّا أَمَامَ مَا أَنْجَزَهُ د. حَمَاسَةُ مِنْ دِرَاسَاتٍ تَطبيقِيَّةٍ؛ لِتكْتَمِلَ الصُّورةُ، وَنَرَىٰ إِلَىٰ أَيِّ مَدًىٰ استَطَاعَتْ مِمارسَاتُهُ التطْبيقيَّةُ أَنْ تَفِيَ بِوعُودِهِ وَمَبادِئِهِ النظَّرِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ الكَلَامَ طَالَ وَامتَدَّ حَوْلَ المبادِئِ النظَرِيَّةِ، وَلَمْ تَتَّسِعْ هَذِهِ الدرَاسَةُ لِمَزِيدٍ مِنَ النمَاذِجِ التطْبِيقِيَّةِ وَمُسَاءَلَتِهَا، وَلَا سِيَّما أَنَّ الدكتورَ **حَمَاسَةَ** قَدْ تَرَكَ دِرَاسَاتٍ تَطبِيقِيَّةً كَثِيرَةً تَحتَاجُ إِلَىٰ بَحْثٍ آخَرَ وَدِرَاسَةٍ مُستَقِلَّةٍ، وَإِنَّي لَفَاعِلٌ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ.

❁❁❁❁❁

هَـوَامِشُ الـدِّرَاسَـةِ

(١) **الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف – عطاء بلا حدود**، إعداد وتحرير أ.د. أحمد عفيفي، د. حسام جايل، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٢) قِيلَ فِي سَبَبِ هَذِهِ المقولَةِ: كَانَ رَجُلٌ إِذَا قَدِمَ عَلَىٰ الإِمَامِ **الشافعِيِّ** رَحِمَهُ الله يَقُومُ لَهُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ: فَقَالَ: أَنَا سَمِعْتُ مِنهُ: "إِنَّ الْكَلْبَ إِذَا بَلَغَ يَرْفَعُ رِجْلَهُ عِندَ الْبَوْلِ، وَإِنَّ الْحُرَّ مَنْ رَاعَىٰ وِدَادَ لَحْظَةٍ، وَانْتَمَىٰ لِمَنْ أَفَادَه لَفْظَةً". الخرشي (محمد بن عبد الله المالكي أبو عبد الله – المتوفى: ١١٠١هـ): **شرح مختصر خليل**، ج ٨، دار الفكر للطباعة – بيروت، دون طبعة، ودون تاريخ، ص ٣٣.

(٣) د. مصطفىٰ ناصف: **الدراسة الأدبية والوعي الثقافي**، ط١، مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي، الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص ١٠.

(٤) انْظرْ – مَثلًا – تَقويمَ د. **حَماسةَ** لِبعضِ الدراساتِ الأُسلوبيةِ، وَلَئِنْ كانَ تَقويمُهُ لِهذِهِ الدراسَاتِ مُجمَلًا غَيرَ مُفصَّلٍ، لَقدْ كَشَفَ بَعضَ ثُغراتِهَا، وَمِنْ هَذِهِ الدراسَات: مَفاتِيحُ الألسنيةِ لجورج مُونان تَرجَمة الطيبِ البكوش – الأسلوبيةُ والأُسلوبُ (نحو بديلٍ ألسنيٍّ فِي النقدِ الأدبيِّ) لعبدِ السلامِ المسدّي – خَصَائصُ الأسلوبِ فِي الشوقياتِ لمحمَّد الهادِي الطرابلسيّ، وغَيرهَا. انظرْ: د. محمَّد حماسَة عبد اللطيف: **النحو والدلَالة – مَدخل لدرَاسةِ المعنَىٰ النحويِّ الدِّلَالِيّ**، ط١، مطبعَة المدينة، القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٧٣، وما بعدَها .. بَلْ إنَّ د. **حَماسَة** يَختلِفُ اختلَافًا جَذريًّا معَ النحَاةِ فِي أَوَّلِ دِراسَةٍ كَتَبها، عَنَيْتُ أطْرُوحتَه للماجستيرِ التِي تَناولَ فِيهَا مَفهومَ (الضَّرُورَةِ الشعْرِيَّةِ)، وَمُعالجةَ النحَاةِ لَهُ؛ إِذْ رَأَىٰ أنَّ النحَاةَ أَخْطَأُوا المنهَجَ القَوِيمَ فِي تَناوِلِ مَا أَسمَوْهُ الضَّرُورَةَ الشعريَّةَ، وَلَا يَتَّسِعُ المقَامُ لِلتفْصِيلِ، وَحَسبُنَا مَا قَالهُ د. **حَماسَة** فِي حَصَادِ الفصلِ الثالثِ الَّذِي تَناوَلَ فِيهِ أنوَاعَ الضَّرُورَةِ الشعْرِيَّةِ: **"عَرَضَ هَذَا الفَصلُ لأَنوَاعِ ضَرُورَاتِ الشعْرِ، وَعَالَجَهَا فِي مَبَاحِثَ خَاصَّةٍ عَلَىٰ طَرِيقَةٍ تُخالِفُ طَرِيقةَ النحَاةِ، وَأَظْهرَ أَنَّ بَعضَ مَا قَالَ عَنهُ النحَاةُ إِنَّهُ (ضَرُورَةٌ) إِنَّمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ لُغةِ الشِّعْرِ، وَأَوْقَفَنَا عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي دَعَاهُم لِلحُكْمِ عَلَيهِ بِذَلِكَ هُوَ الخلْطُ بَينَ مُستوَيَي الشعرِ وَالنثرِ فِي التقْعِيدِ، وَحاوَلَ أَنْ يُثبِتَ أَنَّ مُصطلَحَ (الضَّرُورَةِ) لَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَدلُولِهِ الحقِيقيِّ، عَنْ طَرِيقِ التنظِيرِ بِمَا فِي القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ، وَالحدِيثِ النبوِيِّ، وَالاستِعْمالَاتِ النثْرِيَّةِ المختلِفةِ، وَأَنَّ هَذَا المصطلَحَ أَوْجَدَتْهُ ظُرُوفُ المنهَجِ المعْيَارِيِّ الَّذِي اتبعَهُ النحَاةُ بِالإضافَةِ إِلَىٰ الأَسْبَابِ الأُخْرَىٰ التِي عَرَضْنَا لَهَا فِي الفَصْلِ الأَوَّلِ. كَمَا كَشَفَ لَنَا أَنَّ بَعْضَ مَا قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ ضَرُورَةٌ يُمكِنُ أَنْ يَكُونَ آثارًا تَارِيخِيَّةً لمرْحلةٍ سَابقَةٍ مِنْ مَرَاحلِ تَطورِ اللغَةِ. كَمَا أنَّ بعضَهَا يُعدُّ**

جُذُورًا تَاريخيةً لاستعمالاتٍ لَهجيةٍ معاصرةٍ. وَأَنَّ عَدمَ تَنَبُّهِ النحَاةِ لِتطورِ اللغَةِ هُوَ الَّذِي دَفَعَهم للحُكمِ عَليهِ بِأَنَّهُ ضَرورَةٌ. وَحَاوَلَ - كَذلِكَ - أَنْ يُبيِّنَ دَوْرَ القَرائنِ التِي تَتضافَرُ فِي الجملةِ لأَمْنِ اللبْسِ، وَأَنَّ أَمْنَ اللبْسِ هُوَ الَّذِي يَسمَحُ بوجودِ بَعضِ هَذِهِ الظوَاهِرِ المتعددَةِ الأَمثلَةِ، كَمَا رَأَينَا فِي البنيَةِ والتضَامِّ والعَلَامَةِ والرُّتبَةِ والمطَابقَةِ والرَّبْطِ. وَهَذِهِ الظوَاهِرُ هِيَ التِي سَمَّاهَا النحَاةُ ضَرورةً، أَوِ اختلَفُوا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا رَأينَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُمكِنُنَا أَنْ تَسمَحَ اللغةُ بوجودِ هَذِهِ الظاهِرَةِ إِذَا كَانَ ثَمةَ إِخْلَالٌ بِالمعْنَىٰ، أَوْ مُحاولَةُ الفَهْمِ وَالإِفْهَامِ التِي تُنْشَدُ مِنْ كُلِّ حَدَثٍ كَلَامِيٍّ بَينَ أبناءِ البيئَةِ اللغويَّة". د. محمد حماسة عبد اللطيف: **لغة الشعر - دراسة فِي الضرورة الشعرية**، ط١، دار الشروق، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

(٥) انظُر الكتابَ التذكاريَّ: **الدكتورُ مُحمَّد حماسة عبد اللطيف - عطاء بلا حدود**، ص٢٨٥، حَيْثُ يقولُ الأستاذُ أحمد عبد المعطي حجازي عن د. حَماسَةَ: **"كَانَ شَاعرًا نَاقدًا حُجةً فِي النحوِ والصرفِ والعَروضِ"**.

(٦) انظُرِ الكتابَ التذكَارِيَّ المشارَ إليهِ آنِفًا، ص٣٠٥، حَيْثُ جَعَلَ د. **أَحْمَد دَرْوِيش** عُنوَانَ شَهادتِهِ لِلدكتورِ حَمَاسَةَ: **"محمد حَمَاسَة عبد اللطيف وَتأْصِيل النقْدِ اللغَوِيِّ لِلشعْرِ"**.

(٧) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **فتنة النص - بحوث ودراسات نصية**، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٨) د. مصطفىٰ ناصف: **دراسة الأدب العربي**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ، ص ٢٢٥.

(٩) انظر: د. محمد حماسة عبد اللطيف: **لغة الشعر - دراسة فِي الضرورة الشعرية**، ص ٨، حَيْثُ يقول د. حَماسَةُ: **"وَكُلُّ مَا أَرجوهُ أَنْ أَكونَ قَدْ أَصَبْتُ تَوفِيقًا فِيمَا قَصَدْتُ إِلَيهِ، وَأَنْ يَكونَ هَذَا الكِتَابُ لَبِنَةً فِي صَرْحٍ جَديدٍ لِنَحْوٍ يَقُومُ عَلَىٰ مُعطيَاتِ عِلْمِ اللغَةِ الحدِيثِ"**، وهذه الدراسة هي أطروحته التي نالَ بها درجة الماجستير عام ١٩٧٢م.

(١٠) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **لغة الشعر - دراسة فِي الضرورة الشعرية**، ص ١٧٩.

(١١) انظر السابق: ص ٢٨٠، حَيْثُ أَرجعَ د. حَماسَةُ مَا قَالهُ النحَاةُ عَنْ ظَاهِرَةِ صَرْفِ الممنُوعِ وَمَنعِ المصرُوفِ فِي الشعْرِ إِلَىٰ خَلطِهِم بَينَ الشَّعرِ وَالنثْرِ، يقول د. حَماسَةُ: "إِنَّ الفَصْلَ بَينَ الشِّعْرِ والنثْرِ فِي التقعيدِ يَحلُّ كَثيرًا مِنَ المشكِلَاتِ اللغَوِيَّةِ التِي أَوقعَ فِيهَا التعْمِيمُ، فَقدْ خَلَطَ النحَاةُ بينَ الشعْرِ وَالنثْرِ، فَاهتَزَّتْ قَواعِدُ الممْنُوعِ مِنَ الصَّرْفِ فِي أَيْدِيهم، وَاتَّهَمَهُم البَاحثُونَ

بِالاضطِرَابِ وَالتمَحُّلِ، وَاختلفُوا فِيمَا بَينَهم اختِلَافًا غَيرَ يَسيرٍ، لأنَّ كُلَّ فَرِيقٍ حَاولَ أَنْ يَفرِضَ قَواعِدَهُ عَلَىٰ اللغَةِ "، وانظر كذلك صفحات: ٢٣٠، ٣١٥، ٣٧١، ٤٠٣.

(١٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنىٰ النحوي الدلالي**، ص ٩، ١٠.

(١٣) فِي النفْسِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا المصطَلَحِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَينَ مُتَرَادِفَيْنِ (المعْنَىٰ/ الدِّلَالِيّ)، فَالدُّكتورُ **أَحْمَد مُختَار عُمَر** – فِي كِتَابِهِ (**عِلْمُ الدِّلالَةِ**)، وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ مَرَاجِعِ عِلْمِ الدِّلَالَةِ فِي المكتَبَةِ العَربيَّةِ– لَا يُفَرِّقُ بينَ الدِّلالَةِ وَالمعنَىٰ، فَفِي عَرضِهِ لأَسْمَاءِ عِلْمِ الدِّلَالَةِ يَقُولُ: "أُطلِقَتْ عَليهِ عِدَّةُ أَسْمَاءٍ فِي اللغَةِ الإنجليزيَّةِ أَشْهَرُهَا الآنَ كَلِمَةُ Semantics. أَمَّا فِي اللغَةِ العربيةِ فَبعضُهم يُسمِّيهِ عِلْمَ الدِّلَالَةِ – وَتُضْبَطُ بِفَتحِ الدالِ وَكَسْرِهَا – وَبَعضُهم يُسمِّيهِ عِلْمَ المعنَىٰ (وَلَكِنْ حَذَارِ مِنَ استخْدَامِ صِيغَةِ الجمْعِ وَالقَوْلِ: عِلْمُ المعَانِي لأَنَّ الأَخِيرَ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِ البلَاغَةِ)، وَبَعضُهم يُطلِقُ عَليهِ اسْمَ السمَانْتِيك أَخْذًا مِنَ الكَلِمَةِ الإنجليزيَّةِ أَوِ الفَرنسيَّةِ". د. أَحمَد مختَار عُمَر: **علمُ الدلالةِ**، ط٦، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، عالم الكتب – القاهرة، ص ١١، كَمَا يُسمِّي د. **أَحمد مختَار** الفَصلَ الثالِثَ (الوحدَةَ الدلاليةَ) التِي مِنْ أَقْسَامِهَا (الكَلِمَةُ المفردَةُ)، ثُمَّ يُسمِّي الفَصْلَ الرَّابِعَ (أَنْوَاعُ المعنَىٰ) لِلكَلماتِ التِي هِيَ جُزْءٌ مِنَ الوحدَةِ الدلَالية؛ لِذَا يَغلِبُ عَلَىٰ الظَّنِّ أَنَّهُ لَا يُفَرِّقُ بينَ الدلَالَةِ وَالمعنَىٰ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ كَانَ يَسَعُ د. **حَمَاسَةَ** أَنْ يَقُولَ (المعنَىٰ النحْوِيُّ) أَو (الدِّلَالَةُ النحوِيَّةُ) اتِّقَاءَ شُبهَةِ الترَادُفِ فِي المفهُومِ الَّذِي تَبنَّاهُ (المعنَىٰ النحْوِيُّ الدِّلَالِيُّ). بَلْ كَانَ يَسَعُهُ أَنْ يَكتَفِيَ بِمَفْهُومِ (مَعَانِي النحْوِ) الَّذِي فَسَّرَ بِهِ عَبدُ القَاهِرِ الجرْجَانِيُّ مَفهومَ النظْمِ، وَقَدِ استعَارَهُ مِنَ النحَاةِ وَلَا سِيَّما أَبُو سَعِيد السيرَافِيُّ. انظُرْ د. مُحمَّد عَابِد الْجَابْرِي: **بنيةُ العقْلِ العَرَبِيِّ (دراسَة تحليلية نقدية لنظُمِ المعرفَةِ فِي الثقافَةِ العَربيةِ)**، ط٩، ٢٠٠٩م، مركز دراسات الوحدَة العَربيَّة – بيروت، ص ٨٢.

(١٤) انظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنىٰ النحوي الدلالي**، ص ٦١.

(١٥) يُؤَكِّدُ د. **الرَّبيعي** حتميةَ المدخلِ اللغوِيِّ إِلَىٰ النصِّ الأدبِيِّ وَلَاسِيما الشعرِيُّ مِنه فِي غَيرِ مَوضعٍ مِنْ كُتبِه، وَمِنْهَا ـ مَثلًا ـ قَولُهُ: "**وَالمحوَرُ الأَسَاسِيُّ فِي العملِ الأدبِيِّ الإبدَاعِيِّ هُوَ الشكلُ اللغويُّ الَّذِي يَأخذُهُ، وَذَلِكَ؛ لأَنَّ الأدبَ تَشكِيلٌ لُغوِيٌّ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ، وَلِهذَا يَنبغِي أَنْ يَكونَ المدخَلُ إِلَىٰ فَهمِهِ وَتَحليلِهِ مَدخَلًا لُغويًّا**". قِرَاءةُ الشعْرِ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م: ص ١٢١، وقولُهُ: "**إِنَّ القصيدَةَ مَوضوعٌ لُغوي مِنْ نوعٍ خَاصٍّ، وَاللغَةُ تُوظَّفُ فِيهَا عَلَىٰ نَحْوٍ مُتميِّزٍ، وَلِكَيْ نَضعَ أَيدينَا عَلَىٰ هَذَا التميزِ عَلينَا أَنْ نُولِيَ اهتمَامًا خَاصًّا**

للوحدَةِ اللغويَّةِ للعمَلِ الشعرِيِّ؛ مِنَ المعجَمِ الشعْرِيِّ، وَالتركيبِ، والنحْوِ والمجَاز والتكثيفِ والتصويرِ، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ" السابق: ص ١٦٢، وقوله: "وإِذَا لَمْ تُشِرْ عِبَارَةُ (الشعْرُ فَنٌّ قَوْلِيٌّ) خِلافًا كبيرًا .. فَإِنَّنَا نَستَطِيع أَنْ نَبنِيَ عَلَيهَا القَولَ بِأننَا إِذَا دَخلْنَا إِلَىٰ الشعْرِ مِنْ بَابِ لُغتِهِ نَكونُ قَدْ دَخَلنَا إِلَيهِ مِنْ بَابِهِ الطَّبيعِيِّ، وَإِذَا دَخَلْنَا إِلَيهِ مِنْ أَبْوَابٍ أُخْرَىٰ .. نَكونُ قَدْ دَخَلْنَا إليهِ مِنَ البابِ غَيرِ الطبيعِيِّ، فَنَكُونُ قَدْ أَخْطأنَا المدخَلَ". فِي النقد الأدبي وما إليه: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٨١، وَيقُولُ كذلكَ: "وَإِنَّ الدخولَ إِلَىٰ الرِّوَايَةِ مِنْ غَيْرِ بَابِهَا الطَّبيعِيِّ ـ الَّذِي هُوَ لُغتُها ـ لَأَمْرٌ عَجِيبٌ كَذلِكَ كُلَّ العَجَبِ". السابق: ص ١٠٧، وانظر كذلك: ص ٢٦٣، وكتابه: **مقالات أدبية قصيرة**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٩٥م.

(١٦) لَا يَنِي د. **الزَّبيعِيُّ** يُؤكِّدُ كذلكَ حَتميةَ فَصْلِ النصِّ عَنْ سِياقِهِ الاجتِمَاعِيِّ، وَحَياةِ صَاحبِهِ، وَيُؤكِّدُ أَوْلويَّةَ بِنَاءِ النصِّ عَلَىٰ ظُرُوفِ إِنتَاجِهِ أَوْ حَياةِ صَاحبِهِ، وَتَترَدَّدُ هَذِهِ الدعْوَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كُتبِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا صَرِيحَةً أَوْ يُومِئُ إِليهَا، فَأَمَّا دَعوتُهُ إِليهَا صَرَاحَةً، فَيمثِّلُها قَولُهُ: "يُمثِّلُ العَملُ الأَدبِيُّ بِصفتِهِ تكْوِينًا لُغويًّا قِيمَةً مُستقِلَّةً تَأخُذُ بَعضَ عَناصِرِهَا الأَولِيَّةِ مِنَ (الوَاقِعِ)، لَا بِهَدَفِ تَصوِيرِ هَذَا (الوَاقِعِ)، وَإِنَّمَا بِهَدَفِ تَجاوزِ ذَلِكَ - كَما قُلْتُ - إِلَىٰ تَصوِيرِ (الحقِيقَةِ)، التِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ وَاقِعٍ، وَاستِقْلَالُ العَمَلِ الأَدَبِيِّ عَلَىٰ هَذَا النحْوِ هُوَ الَّذِي لَا يَجعَلُ قِيمتهُ عُرْضَةً لِلتغيُّرِ بِتغيُّرِ الظُّرُوفِ، وَهُوَ استِقْلَالٌ وَاسِعٌ، يَشْمَلُ استقلَالهُ عَنْ بِيئتِهِ الزَّمَانيَّةِ وَالْمكَانِيَّةِ، كَما يَشمَلُ استِقْلَالهُ عَنْ حَيَاةِ قَائِلِهِ وَشَخصيتِهِ، وَلَوْ أَنَّ أَعْمَالَ شكْسِبيرَ مَثلًا اعتمَدَتْ فِي فَهْمِهَا وَتَقْدِيرِ قِيمَتِهَا علَىٰ البيئَةِ وَالعصْرِ اللذَيْنِ أَنْتَجَاهَا لَمَا كَانَ لَهَا مَعنًى وَلَا قَدْرٌ خَارِجَ هَذِهِ البيئَةِ، وَذَلِكَ العَصْرِ". قِراءة الشعر: ص ١٢٢، ١٢٣، وانظر كذلك كتابه (في النقد الأدبي وما إليه): ص ٣٣، وكتابَه (مقالات أدبية قصيرة)، صفحات: ٣٧، ١٩٥، ٢٣٢، ٢٩٥.

وَأَمَّا إِيمَاؤُهُ إِلَيهَا فَيُمثِّلُها قَولُهُ عَقِبَ نُونيَّةِ المتنبِّي (صَحِبَ النَّاس قَبلَنَا ذَا الزَّمَانَا): "وَالآنَ، هَلْ نَحنُ فِي حَاجَةٍ حَقًّا إِلَىٰ أَنْ نَضَعَ المتنبِّي عَلَىٰ كُرْسِيِّ الاعتِرَافِ بُغيةَ فَهْمِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ؟ وَمَنْ لَنَا بِإِعَادَةِ تَشكيلِ حَياةِ المتنبِّي، وَنَوَاياهُ، وَمَقاصِدِهُ التِي اكتَنَفَتْ كِتَابَةَ هَذِهِ القَصِيدَةِ؟ وَإِذَا كَانتْ هَذِهِ القَصيدَةُ لَا تَأخُذُ قِيمتَهَا إِلَّا مُعتمِدَةً عَلَىٰ الأَحْدَاثِ التِي أَثَارَتْهَا، وَالدَّوَافِعِ التِي كَانَتْ وَرَاءَ تَألِيفِهَا، وَالحالَةِ المِزَاجِيَّةِ الشخصيَّةِ التِي صَاحبَتْ هَذَا التأْلِيفَ، فَكيفَ تَجاوَزَتْ كُلَّ هَذِهِ الأمورِ، وَضَمِنَتْ لِنَفْسِهَا حَياةً خَاصةً تُقَدِّمُ بِهَا إِلينَا - بَعدَ انتِهَاءِ صَاحبِهَا المتنبِّي بِمَا لَهُ وَمَا عَليهِ - عَصْرَهُ، وَأَحْدَاثَ حَياتِهِ، وَدَوَافِعَهُ، وَمِزَاجَهُ، والحالةَ النفسيةَ التِي كانَ عليهَا

عِندَئِذٍ، وَمَا إِلَىٰ تِلْكَ الأشيَاءِ؟ إِنَّنا لا بُدَّ أَنْ نَدْلفَ إِلَىٰ هَذِهِ القَصِيدَةِ مِنْ بَابِهَا الطبيعِيِّ الَّذِي يَحيَا بِهِ بَيْنَنَا. لَكِنْ كَيفَ نَجِدُ طَرِيقَنَا إِلَىٰ هَذَا البابِ؟ هَلْ نَجِدُهُ بِنَثْرِ مَعانِيهَا اللغوِيَّةِ القَرِيبَةِ؟ إِنَّ هَذِهِ المعَانِيَ القريبةَ يَستطِيعُ أَنْ يُخبرَنَا بِهَا تِلميذٌ عَلَىٰ قَدْرٍ مُتوَاضِعٍ مِنَ الدربَةِ، وَنَحنُ فِي الْحَقِيقَةِ نَسعَىٰ إِلَىٰ اكتشَافِ مَعانِيها الشعْرِيَّةِ. وَالمعانِي اللغَوِيَّةُ القَرِيبةُ شَيْءٌ، وَالمعَانِي الشعريَّةُ شَيْءٌ آخَرُ". قراءة الشعر: ص ١٢٤، ١٢٥. وانظر كذلك ص ٢٦٤.

(١٧) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **فتنة النص – بحوث ودراسات نصية**، ص١٣٩.

(١٨) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **اللغة وبناء الشعر**، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٩.

(١٩) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)**، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١١.

(٢٠) د. مُحمَّد حماسَة عبد اللطيف: **النحو والدلالة – مدخل لدراسةِ المعنَىٰ النحويِّ الدِّلالِي**، ص ١٨٣.

(٢١) لَسْتُ أَوَّلَ مَنْ يَلْحَظُ ذَلِكَ الاختِزَالَ، فَقَدْ سَبقَنِي إِلَيهِ د. **مُحْيي الدِّين محسّب**، حِينَ أَشَارَ إِلَىٰ اتِّسَاعِ مَفهُومِ النحْوِ لَدَىٰ د. **حَمَاسَةَ** لِيتَرَادَفَ مَعَ مَفْهُومِ اللغَةِ، انْظُر د. مُحْيي الدين محسّب: **النحو والدلالة والشعر: استبصارات الأسلوبية النحويَّة فِي مشروع حماسة عبد اللطيف**، ضمن كتاب (**الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف – عطاء بلا حدود**)، ص ٢٠٥.

(٢٢) د. تمام حسان: **مقالات فِي اللغة والأدب**، ج١، ط١، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٥م ص ٢٤٥، وانظر كذلك ص ٢٤٧.

(٢٣) د. مُحمَّد حماسَة عبد اللطيف: **الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)**، ص ٩.

(٢٤)السابق ، ص ٦٩.

(٢٥)السابق ، ص ٣٥، ٣٦.

(٢٦)السابق ، ص ٣٥، ٣٦.

(٢٧) السابق، ص ٣٨، ٣٩.

(٢٨) السابق، ص٣٨.

(٢٩) د. سعد مصلوح: **فِي اللسانيات والنقد أوراق بينية**، ط١، عالم الأدب، القاهرة، ٢٠١٧م، ص ٤٠، ٤١.

(٣٠) انظر أحمد يوسف: **القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة**: ص ٣٥٩.

(٣١) فَقَدْ كَانَتْ أُسلوبيةُ **ليو سبتزر** وَرَاءَ تَبنِّي بَعضِ نُقادِنَا مَقولَةَ **كُليةِ النصِّ، وَحَتمِيَّةِ تَناولِهِ كَامِلًا**،

فَلَا يُغْنِي الجزْءُ عَنِ الكُلِّ، وَقَدْ وَجَدْنَا ذَلِكَ لَدَىٰ د. **صَلَاح فَضل**، ود. **الرَّبيعِي**، وَد. **حَماسَة**، وَمِمَّنْ تَأَثَّرَ بِأسلُوبيةِ **سبتزر** كَذَلِكَ د. **حَمَّادِي صَمّود** الَّذِي يَرَىٰ أَنَّ فَهْمَ النصِّ لَا يَتِمُّ بِالتدَرُّجِ مِنْ ظَاهِرَةٍ جُزئِيَّةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ إِنَّمَا بِالهجُومِ عَلَىٰ الكُلِّ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَدْسِ وَسَبْقِ الظنِّ بِوصْفِهِمَا مِنْ طَرَائِقِ المعرِفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجُزْءَ لَا يُفْهَمُ إِلَّا بِالكُلِّ، وَكُلُّ تَفسِيرٍ لِلجُزْءِ فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ أَنْ يَنْبَنِيَ سَلَفًا عَلَىٰ فَهْمِ الكُلِّ. وَبَحْثًا عَنْ المسوِّغَاتِ وَالأَدِلَّةِ رَجَعَ (**سبيتزر**) إِلَىٰ الأُصُولِ التِي انبنَىٰ عَليهَا الفِكْرُ الإِنسَانِيُّ فَوَجَدَ أَنَّ أَقْدَمَ نَصٍّ تَحَدَّثَ عَنْ أَهَمِيَّةِ الكُلِّ لِمَعْرِفَةِ الأَجْزَاءِ وَضَرُورَةِ التقَاطِ النصِّ دَفْعَةً وَاحِدَةً مَدْخَلًا إِلَىٰ الأَجْزَاءِ هُوَ نَصُّ سُقْرَاط (الفيدُون). كَمَا أَنَّنَا نَجِدُ مَبدَأَ التَّآلُفِ الدَّاخِلِيِّ فِي النصِّ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الفَلاسِفَةِ وَالكُتَّابِ الأَلْمَانِ مِنْ بَينِهِم (جُوتَه). انظر د. حَمَّادي صَمُّود: **الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة**، ط٢، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠١٨م، ص ٨٥.

(٣٢) انظر د. محمود الربيعي: **قراءة الشعر**: ص ١٦٢، ١٦٣.

(٣٣) د. صلاح فضل: **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الشروق، القاهرة، ص ٦٩، أَوَلَا يُذَكِّرُنَا مَفْهُومُ (المركَز الرُّوحِيّ)، أَوِ (الطَّابَعُ الغَالِبُ) لَدَىٰ **سبتزر**، بِمَفْهُومِ (المرْتَكَزِ الضَّوْئِيِّ) أَوِ (البُؤْرَةِ الدِّلاليَّةِ) لَدَىٰ د. **حَمَاسَة**.

(٣٤) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **فتنة النص بحوث ودراسات نصية**: ص ٧.

(٣٥) يَدعُو د. **حَماسَةُ** فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كُتُبِهِ إِلَىٰ عَزْلِ النصِّ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُسْرِفَ فِي النقْلِ عَنهُ، وَحَسْبِي أَنْ أَنْقِلَ أَحَدَ أَقْوَالِهِ، ثُمَّ أُحِيلَ إِلَىٰ مَوَاضِعَ أُخْرَىٰ تَنَاوَلَ فِيهَا فِكْرَةَ عَزْلِ النصِّ، يَقولُ د. **حَمَاسَةُ**: **"إِنَّ القَصِيدَةَ بَعدَ قَوْلِ الشَّاعِرِ لَهَا تَستَقِلُّ عَمَّا يُحِيطُ بِهَا أَوْ يُلابِسُهَا مِنْ وَقَائِعَ أَوْ حَقَائِقَ مَوضوعِيّةٍ لَدَىٰ الشَّاعِرِ أَوْ غَيْرِهِ. إِنَّهَا تُصْبِحُ كِيَانًا خَاصًّا لَهُ مَنطِقُهُ وَنِظَامُهُ وَبِنْيَتُهُ التِي تَتَمَيَّزُ عَنْ بِنْيَةِ اللغَةِ غَيْرِ الشعْرِيّةِ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَىٰ إِنَّ القَصِيدَةَ لا تُقَدِّمُ لَنَا مَعْنًىٰ بَلْ تُقَدِّمُ لَنَا كِيَانًا فَنِّيًّا. وَالَّذِي أَعْنِيهِ بِذَلِكَ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُظْهِرَ عَمَلِيّةَ البِنَاءِ التِي شَكَّلَتِ القَصِيدَةَ مِنْ خِلَالِ تَرْكِيبِهَا بَدَلًا مِنْ أَنْ نَبْحَثَ عَنْ مَعْنًىٰ مُعَيَّنٍ مَحْدُودٍ مُرْتَبِطٍ بِحَادِثَةٍ مَحْدُودَةٍ"**. د. محمد حماسة عبد اللطيف: **اللغة وبناء الشعر**، ص ٦٨. وانظر لهُ كذلك: **الإبداع الموازي**، ص ٣٧، ٣٨، و**فتنة النص**، ص ١٤١.

(٣٦) د. أحمد يوسف: **القراءة النسقية - سلطة البنية ووهم المحايثة**، ط ١، الدار العربية للعلوم - ناشرون، لبنان ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م، ص ١٥١.

(٣٧) انظر السابق: ص ٢٤٦، ويمنىٰ العيد: **في معرفة النص**، ط٣، منشورات دار الآفاق الجديدة، لبنان ١٩٨٥م، ص ٨٣.

(٣٨) لَمْحِ المعْنَىٰ العَامِّ خِلَالَ السيَاقِ الْخَاصِّ.

(٣٩) ثَمَّةَ مَفاهِيمُ أُخْرَىٰ نَجِدُهَا فِي كُتبِ المفَسِّرِينَ، وشُرَّاحِ الأَحَادِيثِ، تَتفِقُ مَعَ هَذَا المصطلَحِ، نَحْو: (وَاقِعَةُ عَيْنٍ، حَادِثَةُ عَينٍ، قِصَّةُ عَيْنٍ، حِكَايَةُ حَالٍ، قَضِيَّةُ حَالٍ، وَاقِعَةُ حَالٍ .. وغيرها).

(٤٠) عبد الوهاب خلاف: **علم أصول الفقه**، ط٢٠، دار القلم للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص ١٨٩.

(٤١) رواه البخاري في صحيحه حديث رقم (١٨١٦).

(٤٢) أبو بكر جابر الجزائري: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مج ١، ط ٣، راسم للدعاية والإعلان، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ١٧٧.

(٤٣) السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي): **الأشباه والنظائر**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، ج ٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، ص ١٣٦.

(٤٤) عَنيْتُ رسالةَ الماجستير التِي تقدم بِهَا **يَمانُ عبدِ الرحيم عبدِ الرحمنِ الشَّريفِ** إِلَىٰ جَامعَةِ القدس – فلسطين، عام ١٤٣٢هـ – ٢٠١١ م، وعنوانُهَا (**وقائعُ الأعيَانِ فِي كِتَابِ فَتح البَارِي للحَافِظِ ابنِ حَجَر دراسَةٌ فِقهيَّةٌ مُقَارِنَةٌ**)، وَهِيَ مُتاحَةٌ عَلَىٰ شَبكَةِ الإِنْترنِت، نَاهيكَ بدراسَاتٍ أخرَىٰ تَناولتْ هَذِهِ القَضيةَ، وَلَيسَ مِنْ غَايتِنَا تَتَبُّعُها وَإِحْصَاؤُهَا.

(٤٥) انظر: يمان عبد الرحيم عبد الرحمن الشريف: **وقائع الأعيان في كتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر دراسة فقهية مقارنة**، جامعة القدس – فلسطين١٤٣٢ هـ – / ٢٠١١ م، ص ١٧٣، ١٧٤.

(٤٦) ذَلِكَ أَنَّ عُلُومَ الثقَافَةِ العَربيَّةِ عُلُومٌ نَصّيَّةٌ، نَشَأَتْ فِي رِحَابِ النصِّ الشَّرْعِيِّ (القُرْآنِ وَالحدِيثِ)، وَقَدْ أَشَارَ د. **محمَّد عَابِدِ الجابِرِيِّ** – خِلَالَ حَدِيثِهِ عَنِ البيَانِ فِي الثقَافَةِ العَربيَّةِ – إِلَىٰ تَكامُلِ عُلومِ البيَانِ العَرَبِيِّ وَتَداخُلِهَا، وَمِمَّا قَالَهُ فِي ذَلِكَ: "وَنَحْنُ نَقْصِدُ بِالبيَانِيِّينَ هُنَا جَمِيعَ المفَكِّرِينَ الذِينَ أَنْتَجَتْهُم الحضَارَةُ العَربيَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ ... إِنَّهُمْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ (عُلَمَاءُ البيَانِ) مِنْ لُغَوِيينَ وَنُحَاةٍ وَبَلاغِيينَ وَعُلماءِ أُصُولِ الفِقْهِ وَعُلماءِ الكَلامِ، سَوَاءٌ كَانُوا مُعتَزِلَةً أَوْ أَشَاعِرَةً أَوْ حَنَابِلَةً أَوْ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ أَوْ مِنَ السَّلَفِيينَ قُدَمَاءَ وَمُحْدَثِينَ. إِنَّ هَؤلَاءِ جَمِيعًا يَنتَمُونَ إِلَىٰ حَقْلٍ مَعْرِفِيٍّ وَاحِدٍ هُوَ النظَامُ المعْرِفِيُّ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ دِرَاستِهِ، كَمَا أَنَّهُم قَدْ عَمِلُوا جَمِيعًا، كُلٌّ فِي مَيْدَانِ اختِصَاصِهِ وَضِمْنَ أُصُولِ مَذْهَبِهِ البيَانِي، عَلَىٰ المسَاهَمَةِ بِهذِهِ الدرَجَةِ أَوْ تِلْكَ فِي صِيَاغَةِ نَظَرِيَّاتٍ فِي البيَانِ، فِقْهِيَّةٍ أَوْ نَحْوِيَّةٍ، أَوْ بَلَاغِيَّةٍ، أَوْ كَلامِيَّةٍ، مُتكامِلةٍ أَوْ

مُتَدَاخِلةٍ تَصِفُ، أَوْ تُحَلِّلُ، جَوَانِبَ أَوْ مُستوَيَاتٍ مِنَ العَالَمِ المعْرِفِيِّ الَّذِي يَنتَمُونَ إليهِ عَالَمِ (البيَانِ)". د. محمد عابد الجابري: **نقد العقل العربي (٢): بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة فِي الثقافة العربية**، ط٩، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان ٢٠٠٩م، ص١٣.

(٤٧) د. مصطفىٰ ناصف: **اللغة والتفسير والتواصل**، عالم المعرفة (١٩٣)، المجلس الأعلىٰ للثقافة والفنون والآداب – الكويت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ص ١٥٣، ١٥٤،

(٤٨) يَقُولُ **د. تليمَةُ**: "وَفِي التفْسِيرِ المثَالِيِّ الثانِي – الدَّاخِلِيِّ المغْلَقِ – نَجِدُ النقَّادَ اللُّغَوِيينَ وَالتحْلِيليينَ يَجْعَلُونَ مِنَ الأَدَبِ ظَاهِرَةً مُسَيَّرَةً بِقَوَانِينِهَا الذَّاتِيَّةِ. وَهَذِهِ القَوَانِينُ لَدَيْهِمْ قَوانِينُ (لُغَوِيَّةٌ). وَبَدَهِيٌّ أَنَّ الأَدَبَ فَنٌّ (لُغَوِيٌّ)، إِذَا كُنَّا نَسْنُدُهُ إِلَىٰ (أَدَاتِهِ) وَنُعَرِّفُهُ بِهَا، لَكِنَّهُ نَشَاطٌ إِنْسَانِيٌّ – يَعْكِسُ حَرَكَةَ وَاقِعٍ تَارِيخِيٍّ اجتِمَاعِيٍّ مُحَدَّدٍ عَكْسًا خَاصًّا – إِذَا نَظَرْنَا إِلَيهِ مِنْ جِهَةِ (مَاهِيتِهِ) وَ(مُهِمَّتِهِ). وَبَدَهِيٌّ كَذَلِكَ أَنَّ دَرْسَ الأَدَاةِ جَلِيلُ الفَائِدَةِ فِي بَيَانِ مَاهِيةِ الأَدَبِ وَمُهِمَّتِهِ ذَاتِهِمَا ... فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ الظَّاهِرَةِ الأَدبيَّةِ (فِي ذَاتِهَا: أَيْ مِنْ جِهَةِ قَوانِينِهَا الخاصَّةِ) بِدَرْسِ الْمَاهِيَّةِ وَالْمُهِمَّةِ مِنْ خِلَالِ دَرْسِ الأَدَاةِ وَجَدْنَا أَنَّ هَذَا الدرْسَ عَقِيمٌ إِلَّا إِذَا أُسِّسَ عَلَىٰ تَارِيخيَّةِ المبدَأِ الجمَالِيِّ وَاجْتِمَاعيتِهِ. وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ الظَّاهِرَةِ الأَدبيَّةِ (فِي عَلاقَاتِهَا؛ أَيْ مِنْ جِهَةِ كَيفيةِ عَمَلِ قَوَانِينِهَا الخاصَّةِ فِي ظِلِّ قَوانِينَ أَعَمَّ) بِدَرْسِ جَوَانِبِهَا الثلَاثَةِ – الْمَاهِيَّةِ والمهمَّةِ وَالأَدَاةِ – مِنْ خِلَالِ طَبِيعَةِ الإِدْرَاكِ الجَمالِيِّ لِوَاقِعٍ مُحَدَّدٍ، وَجَدْنَا أَنَّ هَذَا الدرْسَ عَقِيمٌ إِلَّا إِذَا أُسِّسَ عَلَىٰ ارْتِبَاطِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الأَدَبيَّةِ بِغيْرِهَا مِنْ ظوَاهِرِ البنَاءِ الثقَافِيِّ خَاصَّةً وَظوَاهِرِ الوجُودِ الاجتِمَاعِيِّ عَامَّةً". عبد المنعم تليمة: **مداخل إلىٰ علم الجمال الأدبي ومقدمة فِي نظرية الأدب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ٢٠١٣م، ص ٢٥٣، وَيَقُول كَذلِكَ (ص: ٨٦): "لَا يُمكِنُ – إِذَنْ – أَنْ يُفصَلَ بينَ البنيتَيْنِ – بنيةِ التشْكيلِ وبنيةِ الموقِفِ – فَمِنْ جَدْلِهِمَا تَنْشَأُ وَحْدَةُ القَصِيدَةِ".

(٤٩) انظر د. أحمد يوسف: **القراءة النسقية – سلطة البنية ووهم المحايثة**، ص ٢٦٣.

(٥٠) انظر السابق: ص ٢٥٦.

(٥١) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **لغة الشعر – دراسة فِي الضرورة الشعرية**، ص ٧٨، وَفِي المبحَثِ الثالثِ مِنْ كتابِ (النحْو والدلالَةِ) كَلامٌ كَثِيرٌ عَنِ السيَاقِ، وَتَقسيمِهِ إِلَىٰ لُغوِيٍّ وَغَيرِ لُغوِيٍّ (خَارجِيٍّ)، وَإِشَارَاتٍ مُتعدِّدَةٍ إِلَىٰ أَهمِيَّةِ السياقِ الخارِجِيِّ، انْظُرْ صَفحَات: ١١٣، ١١٤، ١٢٩.

(٥٢) انظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: **اللغة وبناء الشعر**، ص ٦٧.

(٥٣) السابق، ص ٦٨.

(٥٤) السابق، ص ٦٩.

(٥٥) السابق، ص ٦٩.

(٥٦) السابق، ص ٥٧.

(٥٧) انظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: **شعر صلاح عبد الصبور، دراسة نصية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٤م، ص ٤١، وما بعدها.

(٥٨) السابق: ص ٤٢.

(٥٩) نَاهِيكَ بِأَنَّ لِلدكتُورِ **حَماسَةَ** مَقُولَاتٍ أُخْرَىٰ يُهَوِّنُ فِيهَا شَأْنَ السِّيَاقِ اللغَوِيِّ لِصَالِحِ مُلَابسَاتِ النَّصِّ أَوْ سِيَاقِهِ الْخَارِجِيِّ، مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُهُ: "وَيَقُومُ السِّيَاقُ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ بِتَحْدِيدِ الدِّلَالَةِ المقصُودَةِ فِي جُمْلَتِهَا، وَمِنْ قَديمٍ أَشَارَ العُلَمَاءُ إِلَىٰ أَهميّةِ السيَاقِ أَوِ المقَام، وَتَطَلُّبِهِ مَقَالًا مَخْصُوصًا يَتَلاءَمُ مَعَهُ، وَقَالُوا عِبَارَتَهُمُ الْمُوجَزَةَ الدَّالَّةَ التِي يَصِفُهَا الدكتُورُ **تَمَّامُ حَسَّان** بِأَنَّهَا قَفْزَةٌ مِنْ قَفزَاتِ الفِكْرِ وَهِيَ (لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ). **وَلَا تَكُونُ لِلعَلَاقَةِ النحْوِيَّةِ مَيزَةٌ فِي ذَاتِهَا، وَلا لِلكَلِماتِ المختَارَةِ مَيزَةٌ فِي ذَاتِهَا، وَلَا لِوَضْعِ الكَلِمَاتِ المختَارَةِ فِي مَوْضِعِهَا الصَّحيحِ مَيْزَةٌ فِي ذَاتِهَا مَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي سِيَاقٍ مُلَائِمٍ**". كتابه: **النحو والدلالة**: ص٩٨، وانظُرْ كَذَلِكَ ص ١٠١. وَإِنْ لَمْ يَكْفِ قَولُ د. **حَمَاسَةَ** الآنفُ فِي تَرْجِيحِ السيَاقِ الْخَارِجِيِّ عَلَىٰ السيَاقِ الدَّاخِلِيِّ، فَهَاكَ مَا هُوَ أَصْرَحُ وَأَوْضَحُ؛ إِذْ يُؤَكِّدُ د. **حَمَاسَةُ** أَهميَّةَ السِّيَاقَيْنِ (اللُّغَوِيِّ وَالْخَارِجِيِّ)، لَكِنَّهُ يُؤَكّدُ تَأْثِيرَ الثَّانِي عَلَىٰ الأَوَّلِ، وَتَحَكُّمَهُ فِي دِلَالَاتِهِ، فَيقُولُ فِي الكِتَابِ ذَاتِهِ: "**وَلَا يُمكِنُ بِحَالٍ نُكرَانُ تَأثِيرِ دِلَالَةِ سِيَاقِ النصِّ اللُّغوِيِّ، وَسِيَاقِ الموْقِفِ الْمُلَابِسِ لَهُ عَلَىٰ العنَاصِرِ النحْوِيَّةِ** مِنْ حَيْثُ الذكْرُ والْحَذْفُ، وَالتقْدِيمُ وَالتأْخِيرُ، والتعْرِيفُ والتنكِيرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا دَرَسَهُ مَا يُعْرَفُ بِعِلْمِ الْمَعَانِي إِذْ يَدرُسُ أَحْوَالَ الإِسْنَادِ الخبَرِيِّ وَأَحوَالَ المسنَدِ إِليهِ وَأَحْوَالَ المسنَدِ وَأَحْوَالَ مُتعلِّقَاتِ الفِعْلِ، وَالقَصْرَ، وَالفَصْلَ وَالوَصْلَ، وَالْخَبَرَ وَالإِنْشَاءَ، وَالإِيجَازَ وَالإِطْنَابَ وَالْمُسَاوَاةَ ... **وَلَا يُنْكَرُ أَنَّ دِلَالَةَ السِّيَاقِ تَجْعَلُ الجمْلَةَ ذَاتَ الهيئَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ الوَاحِدَةِ بِمُفرَدَاتِهَا نَفْسِهَا إِذَا قِيلَتْ بِنَصِّهَا فِي مَوَاقِفَ مُختَلِفَةٍ، تَختَلِفُ بِاخْتِلَافِ السِّيَاقِ الَّذِي تَرِدُ فِيهِ مَهمَا كَانَتْ بَسَاطَةُ هَذِهِ الجمْلَةِ وَسَذَاجَتِهَا**". د. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة**: ص١١٣.

(٦٠) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **شعر صلاح عبد الصبور، دراسة نصية**: ص ٤٣.

(٦١) السابق: ص ٤٤.

(٦٢) ***انظر محمد بدوي: الجحيم الأرضي قراءة في شعر صلاح عبد الصبور، الهيئة المصرية العامة***

للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦م، ص ٢٩.

(٦٣) انظر د. عبد العزيز حمودة: **المرايا المحدبة**، (عالم المعرفة ٢٣٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص ٢٥٨.

(٦٤) انظر السابق: ص ٢٥٩، ٢٦٠.

(٦٥) د. شكري عياد: **موقف من البنيوية**، فصول (مجلة النقد الأدبي)، المجلد الأول، العدد الثاني، يناير ١٩٨١م – ١٤٠١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٩٨، ١٩٩.

(٦٦) انظر د. عبد العزيز حمودة: **المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك**، المجلس الوطني للثقافة والنشر والفنون والآداب – الكويت، عالم المعرفة (٢٣٢)، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص ٢٥٨.

(٦٧) انظر د. عبد العزيز حمودة: **المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية**، المجلس الوطني للثقافة والنشر والفنون والآداب – الكويت، عالم المعرفة (٢٧٢)، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص ٢٤٧، وما بعدها.

(٦٨) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة**، ص٤١.

(٦٩) السابق: ص ٤٤.

(٧٠) السابق: ص ٦١.

(٧١) انظر السابق: ص ٩٤، ٩٥.

(٧٢) انظر السابق، ص ١٠٢.

(٧٣) عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه أبو فهر/ محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني بمصر، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ص ٨٧، ٨٨.

(٧٤) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة**، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٧٥) انظر السابق: ص ١٠٧.

(٧٦) انظر فِي تفصيل هَذِهِ الإشارات: د. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة**، من ص ١٠٢ – ١٠٧.

(٧٧) انظر السابق، من ص ١٦٧.

(٧٨) انظر السابق: من ص ١٦٩، ١٧٠.

(٧٩) وفعل ذَلِكَ باحثون آخرون، منهم د. محمد عابد الجابري، ود. عبد العزيز حمودة.

(٨٠) انظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: **الإبداع الموازي**، ص ٢٥، ٢٦.

(٨١) السابق، ص ٥٥، ٥٦.

(٨٢) انظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: **اللغة وبناء الشعر**، صفحات ٣٤، ٣٩، ٤٤، ٤٥.

(٨٣) د. شكري عياد: **موقف من البنيوية**، فصول (مرجع سابق)، ص ١٩٨.

(٨٤) انظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة**، ص ١٧٠.

(٨٥) د. شكري عياد: **علم الأسلوب (مدخل ومبادئ) يليه اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي)**، ط١، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٣م، ص ١٤٤.

(٨٦) السابق: ص ١٤٤، ١٤٥.

(٨٧) انظر د. عبد السلام المسدي: **الأسلوبية والأسلوب**، ط٤، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣م، ص ١٣٨ – ١٤١.

(٨٨) انظر أحمد مومن: **اللسانيات النشأة و التطور**، ط ٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،٢٠٠٥م، ص ٢١٢.

(٨٩) انظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة**: ص ١٣٢.

(٩٠) انظر السابق: ص ١٣٣، ١٣٤.

(٩١) السابق: ص ١٣٦.

(٩٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف: **اللغة وبناء الشعر**، ص ٧٠٩.

(٩٣) انظر السابق: الصفحة نفسها.

(٩٤) انظر السابق: ص ٧١.

(٩٥) السابق: ص ٧٠.

(٩٦) السابق: ص ٧٠ – ٧٢.

(٩٧) أَعني مَا ذَكَرَهُ **د. صَلاح فَضل** فِي كتابِه **(علم الأسلوب)**، نَقلًا عن **سبتزر**، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ قَبلُ، وَأَشَرْنَا إِلَىٰ تَأَثُّر **د. حَمَاسَةَ** به فيما أسماه ، يقول **د. صلاح فضل**: "يُمثِّلُ كُلُّ عَملٍ أَدبِيٍّ وَحدَةً كُليةً شَامِلَةً، يَقَعُ فِي مَركَزِهَا رُوحُ مُبدِعِهَا، وَهُوَ المبدَأُ الَّذِي يَضْمَنُ لَهَا تَماسُكَهَا الدَّاخِلِيَّ، فَرُوحُ المؤَلِّفِ – كَمَا ذَكَرْنَا – يُعَدُّ نَوْعًا مِنَ النظَامِ الشمْسِيِّ الَّذِي تَسْبَحُ فِي مُحيطِهِ وَتَنجَذِبُ إليهِ جَمِيعُ العنَاصِرِ مِنْ لُغةٍ وَحِكَايَةٍ وَغَيرِهَا، وَيُعتَبَرُ مَبدَأُ التمَاسُكِ الدَّاخِلِي هَذَا المحوَرَ الأساسِيَّ لِمَا يُسمِّيهِ سبتسَر (المركزَ الرُّوحِيَّ) أَوِ الطابَعَ الغَالِبَ عَلَىٰ جَمِيعِ تَفاصِيلِ العَمَلِ الَّذِي يُعتَبَرُ سَببًا وَتَفْسِيرًا لَهَا". د. صلاح فضل: **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، ص ٦٩.

(٩٨) انظر د. عبد الله إبراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة (تداخل الأنساق ورهانات العولمة)**، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٩م، ص ٧.

ثَبَتٌ بِأَهَمِّ مَصَادِرِ الدِّرَاسَةِ ومراجِعِها

١. أبو بكر جابر الجزائري: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مج ١، ط ٣، راسم للدعاية والإعلان، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢. أحمد مومن: **اللسانيات النشأة و التطور**، ط ٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،٢٠٠٥م.

٣. أَحْمَد مختَار عُمَر: **علمُ الدلالةِ**، ط٦، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، عالم الكتب - القاهرة.

٤. أحمد يوسف: **القراءة النسقية - سلطة البنية ووهم المحايثة**، ط ١، الدار العربية للعلوم - ناشرون، لبنان ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

٥. تمام حسان: **مقالات فِي اللغة والأدب**، ج١، ط١، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٥م.

٦. حَمَّادي صَمُّود: **الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة**، ط٢، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠١٨م.

٧. **الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف – عطاء بلا حدود**، إعداد وتحرير أ.د. أحمد عفيفي، د. حسام جايل، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٨. الخرشي (محمد بن عبد الله المالكي أبو عبد الله – المتوفى: ١١٠١هـ): **شرح مختصر خليل**، ج ٨، دار الفكر للطباعة – بيروت، دون طبعة، ودون تاريخ.

٩. السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي): **الأشباه والنظائر**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، ج ٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٠. سعد عبد العزيز مصلوح: **في اللسانيات والنقد أوراق بينية**، ط١، عالم الأدب، القاهرة، ٢٠١٧م.

١١. شكري عياد: **علم الأسلوب (مدخل ومبادئ) يليه اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي)**، ط١، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٣م.

١٢. شكري عياد: **موقف من البنيوية**، فصول (مجلة النقد الأدبي)، المجلد الأول، العدد الثاني، يناير ١٩٨١م – ١٤٠١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٣. صلاح فضل: **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار الشروق، القاهرة.

١٤. عبد السلام المسدي: **الأسلوبية والأسلوب**، ط٤، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣م.

١٥. عبد العزيز حمودة: **المرايا المحدبة**، (عالم المعرفة ٢٣٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

١٦. عبد العزيز حمودة، **المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية**، سلسلة (عالم المعرفة)، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب رقم (٢٧٢)، الكويت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٧. عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه أبو فهر/ محمود محمد شاكر، ط ٣، مطبعة المدني بمصر،١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٨. عبد الله إبراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة (تداخل الأنساق ورهانات العولمة)**، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٩م.

١٩. عبد المنعم تليمة: **مداخل إلىٰ علم الجمال الأدبي ومقدمة فِي نظرية الأدب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ٢٠١٣م.

٢٠. عبد الوهاب خلاف: **علم أصول الفقه**، ط٢٠، دار القلم للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢١. محمد بدوي: **الجحيم الأرضي قراءة في شعر صلاح عبد الصبور**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦م.

٢٢. محمد حماسة عبد اللطيف: **الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)**، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٣. محمد حماسة عبد اللطيف: **شعر صلاح عبد الصبور – دراسة نصية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٤م.

٢٤. محمد حماسة عبد اللطيف: **لغة الشعر – دراسة فِي الضرورة الشعرية**، ط١، دار الشروق، القاهرة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٢٥. محمد حماسة عبد اللطيف: **فتنة النص – بحوث ودراسات نصية**، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢٦. محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنىٰ النحوي الدلالي**، ط١، مطبعة المدينة، القاهرة ١٩٨٣م.

٢٧. محمد عابد الجابري: **بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة فِي الثقافة العربية)**، ط٩، ٢٠٠٩م، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت.

٢٨. محمود الربيعي، **فِي النقد الأدبي وما إليه** دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠١م.

٢٩. محمود الربيعي، **قراءة الشعر**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م.

٣٠. محمود الربيعي، **مقالات أدبية قصيرة**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠١م.

٣١. مصطفىٰ ناصف: **الدراسة الأدبية والوعي الثقافي**، ط١، مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي، الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٣٢. مصطفىٰ ناصف: **اللغة والتفسير والتواصل**، عالم المعرفة (١٩٣)، المجلس الأعلىٰ للثقافة والفنون والآداب – الكويت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٣٣. يمنىٰ العيد: **في معرفة النص**، ط٣، مشورات دار الآفاق الجديدة، لبنان ١٩٨٥م.

٣٤. يمان عبد الرحيم عبد الرحمن الشريف: **وقائع الأعيان في كتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر دراسة فقهية مقارنة**، جامعة القدس – فلسطين١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م.